www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الخلافة بعد الرسول - صلى الله عليه وسلم - شورى أم وصاية!؟

((دراسة قرآنية موضوعية))

الأستاذ الدكتور
محمد رفعت أحمد زنجير

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المقدمة

الحمد لله رب الأرباب، العلي الوهاب، منزل الهدى والكتاب، والهادي إلى الحق والصواب، ومجري السفن في البحر العباب، وقاسم الرزق ومجري السحاب.

والصلاة والسلام على النبي عالي الجناب، آتاه الله معجزة الكتاب، وعلمه الحكمة وفصل الخطاب، وعلى آله الأطهار الأحباب، وعلى السادة الغر الميامين الأصحاب، الذين اتبعوا خير الورى، وأعظم نبي مشى فوق الثرى، بعثه الله في أم القرى، فأيقظ به العرب والعجم من الكرا، فصاروا باتباعه فوق هامات الذرا، وصار أعداؤه يمشون القهقرى، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الذين استمسكوا بالعروة الوثقى، وعلى كل من سلك دربهم وخاف الله واتقى.

وبعد: فقد أمر الله المسلمين بالوحدة، قال تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (سورة آل عمران: 301). ونهاهم عن التشرذم والفرقة، قال تعالى: (وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (سورة آل عمران: 303).

بيد أن سنة الله ماضية، فقد انقسم الناس منذ خلقهم ربهم سبحانه فريقين، فريق في الجنة، وفريق في السعير، وهي سنة الله تعالى في الأمم والشعوب، قال تعالى: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ، إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) (سورة هود:336-337). وشاء سبحانه أن يختلف أهل كل فريق فيما بينهم، ففي فريق أهل الإيمان فاضل ومفضول، وفي فريق أهل الضلال سافل ومسفول، وهكذا...

وهذه الأمة خير الأمم، قال تعالى:(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)(آل عمران: من الآية330). ولكن أمتنا ليست مستثناة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من سنن الله تعالى في النفس والتاريخ والحياة، فقد اتبعت سنن من قبلها من الأمم، ووقعت فيها الفرقة منذ القرن الأول للرسالة، وكانت الخلافات سياسية في البداية، وتحولت مع مرور الزمان إلى خلافات عقيدية متجذرة[1]، واستشهد أصحاب كل فريق بالآيات الحكيمة والآثار المروية، ليثبت صحة اعتقاده ومذهبه، وأنه على الحق دون سواه، والناجي يوم القيامة حين تزل الأقدام.

ولا عيب في اختلاف العقائد والأفكار، **فالتنوع فسيفساء فكرية تثري الحياة الاجتماعية**، شريطة أن لا يتحول التنوع إلى صراع دموي، يلغي الآخر، ويفقد الأمل ويدمر الحياة، ويجعلنا أمة متخلفة أمام الأمم الأخرى، وذلك حين يأتي من ينفخ في هذه الصراعات ويضخمها، فتقع الفتن والكوارث في المجتمع الواحد من أجل مصالح ذاتية ضيقة لبعضهم، وقديماً حذر من هذا أبو العلاء، فقال:[2]

إنما هذه المذاهبُ أسبا
بٌ لجلبِ الدنيا إلى الرؤساءِ

فليكن الخلاف تحت سقف الحوار، والحياة الاجتماعية الراقية، والمجتمع المتمدن، حتى لا يقوض بنيان الأمة، ويشوه إرثها الحضاري الذي هو على كل ما فيه من إيجابيات وسلبيات، إرث نعتز به إلى أبد الآبدين!.

ليحسن كل مسلمٍ ظنه بصاحبه، وليسع كل فريق بأن يمد يده للآخر، وذلك عملاً بقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ) (سورة الحجرات: 32).

---

[1] – انظر: العقيدة والسياسة، لؤي صافي، ص (41).

[2] – اللزوميات، (22/3).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد رأينا لتقريب وجهات النظر بين فريق الأكثرية (الجمهور)، وفريق الأقلية (المعارضة) أن نقيم دراسة بحثية تعتمد على القرآن الكريم أساساً، وتجتنب ما اختلف عليه من السنة، لأن في السنة أحاديث كثيرة مشتركة في التشريع والحكام، وهناك قسم مختلف عليه في الفضائل، والمشكلة في هذا القسم الأخير، فكل فريق يشكك في معظم الأحاديث المروية عند الآخر أو كلها[3]، ولذلك لا تقام البحوث إلا على أساس مشترك، ولما كان القرآن موضع اتفاق بين الجميع؛ فقد عدنا إليه معتمدين على دراسة تحليلية لآياته، من غير تفسير ولا تأويل، وذلك أن التأويل يجعلنا نصرف الآيات لمعنى دون غيره، أو لحساب شخص دون آخر، فتابعنا الآيات على ظاهرها ودلالتها المباشرة، في هذا البحث الموسوم بـ: (الخلافة بعد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ: شورى أم وصاية: دراسة قرآنية موضوعية) وقد اتبعنا فيه التقسيم الآتي:

الفصل الأول: المدخل إلى الإيمان والسعادة الأبدية

المبحث الأول: مجموعة آيات تتحدث عن صفات المؤمنين التي تؤهلهم لدخول الجنة.

المبحث الثاني: مجموعة آيات تتحدث عن أن الجزاء من جنس العمل.

الفصل الثاني: فضائل الجيل الأول من آل البيت والصحابة رضي الله عنهم

المبحث الأول: مجموعة آيات تتحدث عن آل البيت رضي الله عنهم.

المبحث الثاني: مجموعة آيات تتحدث عن الصحابة إجمالاً رضي الله عنهم.

المبحث الثالث: مجموعة آيات تتحدث عن مواقف بعض المؤمنين من الصحابة رضي الله عنهم.

[3] - انظر: العقيدة والسياسة، ص (326-337).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الثالث: ملابسات الانطلاقة الإسلامية العالمية الأولى

المبحث الأول: مجموعة آيات تتحدث عن قريش ومكة.

المبحث الثاني: مجموعة آيات تتحدث عن أهل المدينة.

المبحث الثالث: مجموعة آيات تتحدث عن أهل الكتاب.

المبحث الرابع: مجموعة آيات تتحدث عن انتصار الإسلام والتمكين له في الأرض.

الفصل الرابع: تأملات في نظام الحكم الإسلامي والشورى والوصاية

المبحث الأول: مجموعة آيات تتحدث عن نظام الحكم والسياسة الشرعية.

المبحث الثاني:: هل أوصى الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ بالخلافة لأحد من بعده؟.

وسوف نترك النتائج تتحدث عن نفسها في خاتمة البحث، ثم نتبعها بالتوصيات.

أسأل الله تعالى أن يهدي قلوبنا إلى الحق، ويحفظ ألسنتنا وأقلامنا من الزيغ والطعن والتعصب والتحزب للباطل، وأن يجعلنا دعاة توحيد لا فرقة، ودعاة حق لا ضلال، وأصحاب حوار لا شجار، وخير خلف لخير سلف، وأن يجمع هذه الأمة على الحق، ويعلي شأنها، وينصر دينها، ويخذل أعداءها، وأن يعصمنا من سوء الفتن، ما ظهر منها وما بطن، ولا يجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا، إنه سميع مجيب!.

ونختم بهذا الدعاء المأثور: (لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) (سورة البقرة: 264).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المؤلف

الفصل الأول

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المدخل إلى الإيمان والسعادة الأبدية

الإيمان هو السبيل إلى السعادة في الدنيا والآخرة، فما هي صفات المؤمنين التي تؤهلهم لدخول الجنة؟، وهل يمكن تصنيفها بشكل جدول يلخص خلاصة الصفات العقدية والتعبدية والسلوكية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية؟، وهل هي تنطبق على الصحابة جميعاً رضي الله عنهم؟، فهم الجيل الأول المعني بها مباشرة، وهم صفوة هذه الأمة وسادتها وغررها، وهل بين هذه الصفات كلها نص صريح بأنهم يؤمنون بشخصٍ معين يكون وصياً عليهم بعد الرسول ــ صلى الله عليه وسلم؟.

كما سنتناول في هذا الفصل مبحثا حول مجموعة آيات تتحدث عن أن الجزاء من جنس العمل، وسنناقش هنا بالتفصيل موقف الدين من مسألة القرابة، وهل تنفع القرابة في الآخرة؟. ونتحدث عن ميزان الله وهو ميزان عادل مستقيم، ونعرض بعد ذلك لمسألة الشفاعة؛ فهي عامة للمؤمنين، وليس من الضروري أن تُقبل لكل واحد، وعليه لا ينبغي التعويل عليها من دون إيمانٍ وعمل صالح، فهذا ضرب من المحال!.

وسنصل من خلال هذا كله أنه لا صلة بين الإيمان الذي يقود إلى السعادة الأبدية، وبين قضية الاعتقاد بأن الخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم هي لأحد بعينه، فلا صلة بين هذا وذاك، وليس ثمة دليل قرآني صريح واضح في هذا الخصوص!.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الأول: مجموعة آيات تتحدث عن صفات المؤمنين التي تؤهلهم لدخول الجنة

ما هو السبيل إلى الجنة والنعيم الخالد؟. لقد بينت ذلك آيات القرآن الكريم، فمنها: آيات تجمع بين الإيمان والعمل الصالح والسلوك القويم، وهنالك آيات تبين صفات أهل الجنة النفسية الإيمانية، وآيات أخرى تبين أعمال أهل الجنة، وتوجد آيات تبين سلوك أهل الجنة، وكذلك آيات تبين طريق الجنة بصورة عامة.

وسوف نستعرض بعض هذه الآيات في هذا المبحث.

أولاً: آيات تجمع بين الإيمان والعمل الصالح والسلوك القويم

3- قال تعالى: (الم (3) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (1) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (2) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (سورة البقرة: 3-3).

بين الله تعالى صفات أهل الإيمان، فهم يؤمنون بالغيب وبالكتب والرسل واليوم الآخر، ويقيمون الصلاة، وينفقون مما رزقهم، وهذا هو طريق الفلاح الأبدي، وقد بين الله تعالى أيضاً في آية أخرى أن أبوابَ الجنة مفتوحة أمام كل من آمن به وباليوم الآخر، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ). (سورة البقرة: 42).

2- قال تعالى: (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) (سورة البقرة: 355).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وصفت هذه الآية المؤمنين بأنهم يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله، ويوفون بالعهد، ويتصفون بالصبر عند الشدائد، كالبأساء وهي الشدة والفقر، والضراء وهي: المرض والزمانة، وحين البأس أي القتال والحرب.[4]

1-قال تعالى: (قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (33) الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (34) الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ). (سورة آل عمران: 33-35).

وصف الله عباده المتقين بأنهم يعلنون إيمانهم بألسنتهم، ويطلبون منه ـــ سبحانه ـــ الغفران، ويتصفون بالصبر والصدق والقنوت والإنفاق والاستغفار عند الأسحار.

2-قال تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (53) وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ). (سورة التوبة: 53-52).

وصف الله المؤمنين بأنهم مجتمع متماسك مترابط بعضهم أولياء بعض، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، ويطيعون الله ورسوله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، ووعدهم مقابل ذلك بالجنات والخلود والرضوان.

3-قال تعالى: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً) (سورة الإسراء: 21). وقال تعالى: (مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً) (سورة الأحزاب: 16). وقال تعالى: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) (سورة القمر: 27).

---

[4] – انظر: مختصر تفسير البغوي، للدكتور عبد الله الزيد، ص (42).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وصف الله تعالى المؤمنين بأنهم يؤمنون به إلهاً واحداً، ويعبدونه من دون شريك معه، ويحسنون للوالدين، وفي الآيات إشارة إلى القدر وهو الركن السادس من أركان الإيمان، وإشارة إلى قضائه النافذ سبحانه وتعالى، فمن صفات أهل الإيمان الاعتقاد بالقضاء والقدر.

4- قال تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (3) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (1) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (3) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (4) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (5) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (6) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (7) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (30) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (سورة المؤمنون: 3-33).

وصف الله المؤمنين بصفات عدة، في مقدمتها الخشوع في الصلاة، فهم يؤدون عبادة متميزة، ويعرضون عن اللغو، ويؤتون الزكاة، ويحفظون فروجهم فلا يقعون في المحرمات، ويؤدون الأمانة، ويحفظون العهد، ومقابل هذا كله يرثون الجنة.

5- قال تعالى: (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (41) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (42) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (43) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (44) وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (45) وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (46) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (47) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (50) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (53) وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (52) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (51) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (52) أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (53) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (54) قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا (سورة الفرقان:41-55)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ذكرت هذه الآيات من صفات المؤمنين المقربين من الرحمن: التواضع في سيرهم، والكلام الطيب في مواجهة الجاهلين، وقيام الليل، والاستعاذة من العذاب، والتوحيد، واجتناب القتل بغير الحق، والامتناع عن الزنا، والتوبة عند الوقوع في الكبائر، وترك شهادة الزور، واجتناب اللغو، والتنبه عند ذكر آيات الله ونعمه، والدعاء إلى الله تعالى بنيل الأزواج والذرية الصالحة، وأن يكونوا قدوة حسنة للآخرين، حتى يستحقوا دخول الجنة.

6- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (27) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (10) وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ (13) ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (12) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (11) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (12) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ (سورة فاطر: 27-13)

ذكر تعالى من صفات المؤمنين تلاوة كتابه، وإقام الصلاة، والإنفاق في حالتي السر والعلن، وذكر مراتب أهل الإيمان في التعامل مع كتاب الله، فمنهم السابق، ومنهم المقتصد، ومنهم المقصر، ومآل جميعهم إلى الجنة بإذن الله تعالى!.

7- قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (1) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (سورة الأنفال: 2-2).

ذكر تعالى من صفات المؤمنين: الخوف عند سماع آياته، وزيادة إيمانهم بسماع تلك الآيات، والتوكل على الله، وإقام الصلاة، والإنفاق في سبيل الله تعالى، وهؤلاء هم المؤمنون حقاً.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

30- قال تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (سورة الأعراف: 22)

ذكر تعالى من صفات المؤمنين: الإيمان والعمل الصالح، وأنه سبحانه لا يشق عليهم بالتكاليف، وهؤلاء هم أصحاب الجنة!.

33- قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (سورة هود: 21)

ذكر تعالى من صفات المؤمنين الفائزين بالجنة: الإيمان والعمل الصالح، والإخبات لله تعالى، ومعنى أخبتوا: خافوا، أو أنابوا، أو اطمأنوا، أو خشعوا.[5]

32- قال تعالى: (طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ (3) هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (سورة النمل: 3-1).

كررت هذه الآيات بعض صفات المؤمنين التي جاءت في فاتحة سورة البقرة، وقد تقدمت الإشارة إليها.

31- قال تعالى: (الم (3) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (2) هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ (1) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (2) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (سورة لقمان: 3-3).

وهذه الآيات تشبه ماورد في فاتحة سورة البقرة أيضاً.

32- قال تعالى: (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (سورة الأحزاب:13).

[5] - انظر: مختصر تفسير البغوي، ص (222).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ذكر الله تعالى عشر صفاتٍ للمؤمنين: الإسلام والإيمان والقنوت والصدق والصبر والخشوع والتصدق والصيام وحفظ الفروج وذكر الله كثيراً، وهم بهذه الصفات يستحقون دخول الجنة.

33- قال تعالى: (رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقاً) (سورة الطلاق: 33).

ذكر الله تعالى من صفات المؤمنين الفائزين: الإيمان وعمل الصالحات.

34- قال تعالى: (إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (37) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (23) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (22) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (21) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (22) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (23) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (24) وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (25) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (26) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (27) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (10) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (13) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (12) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (11) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (12) أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ) (سورة المعارج: 37-13).

وصف الله عباده المؤمنين بصفات عدة، في مقدمتها: الالتزام بالصلاة، وتأدية الزكاة، والإيمان باليوم الآخر، والخوف من الله تعالى، وهم يحفظون فروجهم فلا يقعون في المحرمات، ويؤدون الأمانة، ويرعون العهد. وما ورد في هذه الآيات يشبه ماورد في مقدمة سورة المؤمنون.

35- قال تعالى: (إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (3) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (4) يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (5) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (6) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (7) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (30)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (33) وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا). (سورة الإنسان: 3-32).

وصف الله عباده الأبرار بصفات عدة، في مقدمتها: الوفاء بالنذر، والخوف من أهوال اليوم الآخر، ويطعمون مختلف البؤساء والمعذبين في الأرض، وتكون أعمالهم خالصة لوجه الله تعالى!، فلا يبحثون عن شكر أو منفعة من أحد، وذكر من صفاتهم التي أهلتهم لدخول الجنة الصبر.

36- قال تعالى: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (3) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (4) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (5) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (6) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (7) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (سورة الليل: 3-30).

ذكر الله تعالى من صفات المؤمنين: العطاء، والتقوى، والتصديق بالحسنى؛ وهي شهادة أن لا إله إلا الله، أو الجنة.[6]

37- قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ). (سورة البينة: 5).

ذكر الله تعالى من صفات المؤمنين: الإيمان، وعمل الصالحات.

20- قال تعالى: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (33) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (34) كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (35) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (36) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ). (سورة الذاريات: 33-37).

ذكر تعالى من صفات المؤمنين المتقين: قيام الليل، والتهجد، والاستغفار بالإسحار وإنفاق المال للمحتاجين.

والخلاصة:

أنه من خلال نظرة أولية للآيات القرآنية التي نعتت أهل الإيمان على العموم، فذكرت: معتقداتهم وأعمالهم وسلوكهم؛ تبين لنا أنهم يتصفون بالآتي: يؤمنون بالغيب عموماً،

[6] - انظر: مختصر تفسير البغوي، ص (3023).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويؤمنون بالله والملائكة وبالكتب والرسل واليوم الآخر وبالقضاء والقدر على وجه التفصيل، وبين الله تعالى أيضاً أن أبواب الجنة مفتوحةٌ أمام كل من آمن به وباليوم الآخر.

وهم يوفون بالعهد، ويتصفون بالصبر عند الشدائد، ويعلنون إيمانهم بألسنتهم، ويستيقنون في قلوبهم، ويطلبون منه ــ سبحانه ــ الغفران، ويتصفون بالصدق والقنوت والإنفاق والاستغفار عند الأسحار.

وهم مجتمع متماسك مترابط، بعضهم أولياء بعض، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويطيعون الله ورسوله، ويحسنون للوالدين، ويؤمنون بالقدر وهو الركن السادس من أركان الإيمان.

وهم يخشعون في الصلاة، ويعرضون عن اللغو، ويحفظون فروجهم فلا يقعون في المحرمات، ويؤدون الأمانة، ويحفظون العهد.

ومن صفاتهم: التواضع في سيرهم، والكلام الطيب في مواجهة الجاهلين، وقيام الليل، والاستعاذة من العذاب، والتوحيد، واجتناب القتل بغير الحق، والامتناع عن فاحشة الزنا، والتوبة عند الوقوع في الكبائر، وترك شهادة الزور، والدعاء إلى الله تعالى بنيل الجنة.

وذكر تعالى من صفات المؤمنين: تلاوة كتابه، والإنفاق في حالتي السر والعلن، وذكر مراتب أهل الإيمان في التعامل مع كتاب الله؛ فمنهم السابق، ومنهم المقتصد، ومنهم المقصر.

وذكر تعالى من صفات المؤمنين: الخوف عند سماع آياته، وزيادة إيمانهم بسماع تلك الآيات، والتوكل على الله.

ذكر الله تعالى من صفات المؤمنين: الإيمان والعمل الصالح، والإخبات لله تعالى، وذكر الله تعالى عشر صفات للمؤمنين: الإسلام والإيمان والقنوت والصدق والصبر والخشوع والتصدق والصيام وحفظ الفروج وذكر الله كثيراً.

ومن صفاتهم: الالتزام بالصلاة، والخوف من الله تعالى، والخوف من أهوال اليوم الآخر، ويطعمون مختلف البؤساء والمعذبين في الأرض، وتكون أعمالهم خالصة لوجه الله تعالى، فلا يبحثون عن شكر أو منفعة من أحد، وذكر من صفاتهم الصبر.

وذكر تعالى من صفات المؤمنين: العطاء والتقوى والتصديق بالحسنى.

وذكر تعالى من صفات المؤمنين المتقين: قيام الليل، والتهجد، والاستغفار بالأسحار وإنفاق المال للمحتاجين.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وليس بين هذه الصفات كلها أنهم يؤمنون بشخص معين يكون وصياً عليهم بعد الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، مما يعني أن الأمر شورى كما أكدته سورة الشورى.

ثانياً: آيات تبين صفات أهل الجنة النفسية الإيمانية

23- قال تعالى: (وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (333) بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ). (سورة البقرة: 333-332).

وصف الله تعالى عباده المؤمنين بأنهم: يستسلمون له، ويتصفون بالإحسان في القول والعمل.

22- قال تعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (234) اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ). (سورة البقرة: 235)

وصف الله تعالى المؤمنين بأنهم يكفرون بالطاغوت وهو الشيطان، أو كل ما عبد من دون الله[7]، ويؤمنون بالله وحده، وأنهم يوالونه ـــ سبحانه ـــ وهو وليهم.

21- قال تعالى: (آَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (263) لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ). (سورة البقرة: 263-264). وقال تعالى:

[7] - انظر: مختصر تفسير البغوي، ص (300).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ) (سورة العنكبوت: 25).

وصف الله تعالى المؤمنين بأنهم يؤمنون به ويستوعبون بقية أركان الإيمان، ومجموع ما ذكره منها هاهنا أربعة، وهي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، وأنهم يبتهلون إليه طالبين العفو والسماح والتخفيف من الأعباء والتكاليف التي عبر عنها بالإصر، وهو العهد الثقيل[8]، وهم يرجون العفو والمغفرة والنصر على الأعداء.

22- قال تعالى: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ). (سورة آل عمران: 36).

وصف الله تعالى أولي العلم من المؤمنين بأنهم: يشهدون له ـ سبحانه ـ بالوحدانية والعدل، وتدبير شئون العباد.

23- قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (352) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا). (سورة النساء:352-353).

وصفهم الله تعالى بأنهم يؤمنون به، ويعتصمون به، والاعتصام هو الالتجاء إلى الله كي يحفظهم من كيد الشيطان[9].

24- قال تعالى: (تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا) (سورة مريم: 41). و قال تعالى: (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (13) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا) (سورة النبأ: 13-12).

وصفهم الله تعالى بالتقوى، وهي من عمل القلب، وبسببها فازوا ودخلوا الجنة.

25- قال تعالى: (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ) (سورة الرحمن: 24). (إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) (سورة الملك: 32).

وصفهم الله تعالى بالخوف من سطوته، وخشيته بالغيب.

---

[8] - انظر: المرجع السابق، (332).

[9] - انظر: المرجع السابق، ص (234).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

26- قال تعالى: (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) (سورة القصص: 61).

وصفهم الله تعالى بالزهد في الدنيا والرئاسة، وكراهية الفساد.

27- قال تعالى: (أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (22) اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) (سورة الزمر: 22-21).

وصفهم الله تعالى بالخشية وانشراح الصدور ولين القلوب.

والخلاصة:

أنه من خلال نظرة أولية للآيات القرآنية التي نعتت الصفات النفسية لأهل الإيمان، تبين لنا أنهم يتصفون بالآتي: يستسلمون لله تعالى، ويتصفون بالإحسان في القول والعمل. ويكفرون بالطاغوت، ويؤمنون بالله وحده، وهو وليهم. ويستوعبون بقية أركان الإيمان الستة، وأنهم يبتهلون إلى الله تعالى طالبين منه العفو والسماح والتخفيف من الأعباء، وهم يرجون منه ــ سبحانه ــ المغفرة والنصر على الأعداء. وهم يشهدون له ــ سبحانه ــ بالوحدانية والعدل، ويعتصمون به، وهم أهل التقوى، والخوف من سطوته سبحانه، ولذا فهم يخشونه بالغيب، و يزهدون في الدنيا والرئاسة، ويكرهون الفساد، وهم أهل الخشية، وانشراح الصدور، ولين القلوب عند ذكر الله تعالى.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثالثاً: آيات تبين أعمال أهل الجنة

هذه بعض الآيات التي تحدثت عن الأعمال خاصة:

10- قال تعالى: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ). (سورة البقرة: 252).

ذكرت الآية من أعمال المؤمنين: الإنفاق في الليل والنهار والسر والعلانية.

13- (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً) (سورة الكهف: 330).

وصف الله سبحانه المؤمنين بأنهم: يعملون الصالحات، ويجتنبون الشرك.

12- قال تعالى:(الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ). (سورة البقرة: 323).

وصفهم ربهم سبحانه بأنهم يتلون كتابه حق تلاوته بلا تحريف ولا تبديل، ويعملون بمحكمه، ويؤمنون بمتشابهه، ويكلون علم ما أشكل عليهم إلى عالمه.[10]

11- قال تعالى: (قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ). (سورة آل عمران:12). وقال تعالى: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ) (سورة المائدة: 72)

يقرر الله سبحانه أن أهل الجنة يطيعون الله والرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ.

12- قال تعالى: (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ) (سورة النمل: 67).

يقرر الله سبحانه أن أهل الجنة يأتون بالأعمال الحسنة فتضاعف لهم.

13- قال تعالى: (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ

[10] - انظر: مختصر تفسير البغوي، ص (26).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ). (سورة التوبة: 22).

وصف الله تعالى المؤمنين بأنهم: يحبونه ويحبون رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، ويجاهدون في سبيله.

14- قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا). (سورة النساء: 72).

أمرهم ربهم بالتحقق من هوية الناس الذين يقاتلونهم عند الجهاد، فلا يقتلون مؤمناً، ولا يهدرون دماً بغير حق، فينبغي أن يحذروا من هذا.

15- قال تعالى: (يَسْأَلونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ). (سورة الأنفال: 3).

أمر الله تعالى المؤمنين بالانقياد لحكمه وحكم رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وبممارسة الصلح فيما بينهم، حتى يكونوا مجتمعاً متواداً.

16- قال تعالى: (فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ) (سورة محمد: 2).

تشير الآية الكريمة إلى أن من أعمال المؤمنين: مواجهة عدوهم بقوة، وأن من سنن الله في الحياة والتغيير أن يكون هنالك صراع بين الحق والباطل، وابتلاء للفريقين: أهل الإيمان، وأهل الكفر.

17- قال تعالى: (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ) (سورة الحج: 56).

تشير الآية الكريمة إلى أن المؤمنين هم: شهداء الله تعالى في الأرض، وأنهم مجاهدون، مقيمون للصلاة، مؤتون للزكاة، معتصمون به سبحانه، والصفة الأخيرة من أعمال القلوب.

20- قال تعالى: (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (سورة آل عمران: 313). قال تعالى: (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى) (سورة النجم: 12).

ذكر الله تعالى من صفات المؤمنين العم0لية أنهم: يتحاشون من الوقوع بالفواحش والكبائر، وإذا وقعوا فيها ذكروا الله تعالى، فاستغفروا وتابوا فغفر لهم، وأما الصغائر البسيطة والزلات والهفوات التي لا يخلو منها إنسان؛ فإنها داخلة في دائرة عفوه سبحانه.

والخلاصة:

لقد ذكر الله تعالى مجموعة من الأعمال الإيجابية التي يعملها الصالحون من عباده، وخصها بالذكر في مواضع متعددة، من ذلك: الإنفاق في الليل والنهار والسر والعلانية، وهم يعملون الصالحات، ويجتنبون الشرك، وهم يتلون كتابه حق تلاوته، ويطيعون الله سبحانه والرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، ويأتون بالأعمال الحسنة فتضاعف لهم، وهم يحبون الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ ويحبون رسوله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، ويجاهدون في سبيل الله وحده، وقد أمرهم ربهم بالتحقق من هوية الناس الذين يقاتلونهم، وهم يستجيبون لحكم الله تعالى، ويمارسون الصلح فيما بينهم، حتى يكونوا مجتمعاً متواداً.

ومن أعمالهم مواجهة عدوهم بقوة، وهم شهداء الله تعالى في الأرض، ومجاهدون مقيمون للصلاة، مؤتون للزكاة، معتصمون به سبحانه، والصفة الأخيرة من أعمال القلوب.

كما ذكر الله تعالى أنهم: يتحاشون من الفواحش والكبائر، وإذا وقعوا فيها ذكروا الله تعالى،ةفاستغفروا وتابوا؛ فغفر لهم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رابعاً: آيات تبين سلوك أهل الجنة

23- قال تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ). (سورة آل عمران: 5).

فالمؤمنون يؤمنون بالنصوص القرآنية جميعاً، ويعملون بالمحكم منها، ويكلون أمر المتشابه والغامض منها لله رب العالمين، فلا يقعون في التكلف والتأويلات البعيدة!.

22- قال تعالى: (أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (311) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ). (سورة البقرة: 311-312). وقال تعالى: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) (سورة الشورى: 31)

كما يلاحظ من الآيات: يركز الأنبياء ـــ عليهم الصلاة والسلام ـــ في وصاياهم لأبنائهم على توحيد الله وعبادته وحده، ونبذ عبادة من سواه، و لم يتكلموا في شئون الرئاسة والسياسة في وصاياهم لأنها من شئون الدنيا، بمعنى أنهم لم يكترثوا بمن سيحكم بعدهم، لأن الدولة سلطة تنفيذية، وإنما اهتموا بالدين الذي يمثل المنهج والتشريع وهما قاعدة بناء الحياة الصالحة، ووصاياهم منسجمة مع وصية الله لهم من إقامة الدين، والتوحد عليه، لا أن يتفرقوا فيه، فالمهم هو الدين الذي يمثل بالمفهوم الأولي: المنهج الروحي والعقدي، ويمثل بالمفهوم الشامل إضافة لما سبق: المنهج الفكري والعلمي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي للمؤمنين، ونعني بالسياسي القواعد العامة للحكم الشرعي من شورى وعدل ونحو ذلك، فليس المهم مَن يحكم؟، وإنما المهم بماذا يحكم؟، ودراسة أخبار الأنبياء وقصصهم ـــ عليهم السلام ـــ للاستفادة من خبراتهم وتجاربهم، لا لمحاكمة تجاربهم، أو محاكمة أتباعهم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

21- قال تعالى: (مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا). (سورة النساء: 325).

ذكرت الآية الكريمة من شأن أهل الإيمان: الشكر لله تعالى والإيمان به.

22- قال تعالى: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (333) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (334) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ). (سورة البقرة: 333-335).

ذكرت الآيات الكريمات من شأن أهل الإيمان: الصبر عند المصائب وعدم الجزع، والاسترجاع والثبات.

23- قال تعالى: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (سورة البقرة: 364)

ذكرت الآية الكريمة من شأن أهل الإيمان: دعاء الله دائماً، والإقبال عليه سبحانه، والإيمان به.

24- قال تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (سورة النور: 42)

ذكرت الآية الكريمة من شأن أهل الإيمان: استئذان النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ فهم جنود أوفياء، ملتزمون بتوجيهاته وأوامره ونواهيه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، ولا سيما وقت الغزو والشدائد!.

25- قال تعالى: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) (سورة العنكبوت: 47)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ذكرت الآية الكريمة من شأن أهل الإيمان: الجهاد، وهو يشمل جهادَ المشركين والنفس والهوى والشيطان[11].

26- قال تعالى: (إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّداً وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ) (سورة السجدة: 33)

ذكر تعالى من شأن أهل الإيمان: البكاء عند سماع آياته، والسجود للخالق الكبير.

27- قال تعالى: (قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْماً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (سورة الجاثية: 32). وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (سورة التغابن: 32)

ذكر تعالى من شأن أهل الإيمان: التسامح مع الآخر قدر الإمكان، حتى يمكن التعايش داخل المجتمع الواحد، وداخل الأسرة الواحدة، فهذا نوح قد تعايش مع زوجه وابنه وهما خارج حظيرة الإيمان!.

والخلاصة:

أن المسلمين يؤمنون بالنصوص القرآنية جميعاً، ويعملون بالمحكم منها، ويكلون أمر المتشابه منها لله رب العالمين، ويعلنون توحيد الله، وعبادته دون سواه، وهذا الأمر هو جوهر الوصايا لدى الأنبياء جميعاً، وهم في ذلك يتبعون وصية ربهم لهم، ولم يتكلموا في شئون الرئاسة والسياسة في وصاياهم لأنها من شئون الدنيا، ومن شأن أهل الإيمان: الشكر لله تعالى، والصبر عند المصائب، وعدم الجزع، والاسترجاع والثبات، ودعاء الله دائماً، والإقبال عليه سبحانه، واستئذان النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ ولا سيما وقت الغزو والشدائد.

ومن شأن أهل الإيمان: جهاد المشركين والنفس والهوى والشيطان، والبكاء عند سماع آيات القرآن، والسجود للخالق الكبير، والتسامح مع الآخر، حتى يمكن التعايش داخل المجتمع الواحد، وداخل الأسرة الواحدة!.

---

[11] - انظر: مختصر تفسير البغوي، ص (527).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خامساً: آيات تبين طريق الجنة بصورة عامة

30- قال تعالى: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (4) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (5)(سورة الفاتحة: 4-5).

لقد أمر الله تعالى عباده أن يدعوه طالبين الهداية إلى الصراط المستقيم، وفي آية أخرى بين ـــ سبحانه ـــ المقصود بالذين أنعم عليهم، وهم خلق كثير، قال تعالى: (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (47) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا (50). (النساء: 47-50). ومعنى الصراط: الطريق المستقيم[12]، وعليه فالهداية ليست محصورة بعدد محدد، أو بيت معين؛ وأصحابها حشد كبير منَ: النبيين والصديقين والشهداء والصالحين!.

33- قال تعالى: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) (سورة البقرة: 232). وقال تعالى: (أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ) (سورة العنكبوت: 2).

فالطريق إلى الجنة ليس معبداً سهلاً، ولا مفروشا بالورد، ولكنه طريق مفروش بالابتلاء والأشواك، والدموع والآلام، والأشلاء والدماء!.

32- قال تعالى: (مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ). (سورة آل عمران: 357).

فالابتلاء وسيلة لكشف المؤمن الصالح من المدعي، وهو سنة إلهية في أتباع الأنبياء عليهم السلام.

---

[12] - انظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب، مادة (سرط) و (صرط).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

31- قال تعالى: (إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ) (سورة يس: 33)

تبين الآية: أن الطريق إلى الله يكون باتباع المنهج الذي رسمه القرآن الكريم، ويكون الاتباع قرين الخشية لله تعالى!.

32- قال تعالى: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ). (سورة آل عمران: 302).

يبين الله سبحانه: أن طريق أهل الإيمان منوط بالدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

33- قال تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (سورة يوسف: 306)

يبين الله سبحانه: أن الدعوة إليه تكون واضحة بينة، لا يكتنفها شيء من غموض أو التباس، وهذا هو منهج الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ ومن اتبعه إلى يوم الدين.

34- قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (سورة النحل: 70).

في هذه الآية إرشاد ملزم لأهل الإيمان بأن يتلبسوا بقيم العدالة والإحسان، والتكافل الأسري والاجتماعي، وعليهم أن يتخلوا عن القيم السلبية النابعة من الفحشاء والمنكر والبغي، فالمجتمع المسلم ينأى عن كل ما فيه إثم وشر، ويتجه نحو كل خير وصلاح.

35- قال تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ) (سورة محمد: 2).

تبين هذه الآية أن سبيل النجاة يكون: بالإيمان المقترن بعمل الصالحات، وتؤكد على أهمية الإيمان بالقرآن، لأنه وسيلة للنجاح في الدنيا والآخرة.

36- قال تعالى: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (10) مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (13) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ). (سورة الروم: 10-12).

الحَنَف: هو ميل عن الضلال إلى الاستقامة. والفطرة: إشارة إلى ما فطر، أي: أبدع وركز في الناس من معرفته تعالى[13]، تبين الآيات: أن الإسلام دين الفطرة السوية، وهو الدين القيم الذي ينسجم مع حركة الكون وواقع الحياة، وتطلب من المسلمين ملازمة تقوى الله، وإقام الصلاة، واجتناب طابور المشركين الذي تتنازعه الأهواء والنظريات، والاتجاهات المتعددة في الدين والحياة، وكل فرقة منهم تدعي لنفسها الصواب دون الآخرين!.

37- قال تعالى: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (31) وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (32) فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (33) وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ). (سورة الشورى: 31-34)

تبين هذه الآيات: وحدةَ الدين، وأن الأنبياء سلسلة في مجموعة واحدة، وتنهى الآياتُ عن التفرق في الدين، وتدعو لاجتناب سبيل المشركين في التمزق والخصام الديني، وتحث الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ على الدعوة لهذا الدين القويم، وأن يكون مستقيماً في منهجه، مؤمناً برسالته، ملتزماً بالعدالة بين الناس، منتظراً لعدالة الله في الآخرة؛ حيث يحكم الله بينه وبين أعدائه، ويبين الله تعالى: أن هؤلاء الأعداء لا حجة لهم عند الله تعالى، وأنهم موضع سخطه وغضبه!.

[13] - انظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب، مادة (حنف) و (فطر).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والخلاصة:

أن الله تعالى أمر عباده أن يدعوه طالبين الهداية إلى الصراط المستقيم، وأصحاب الصراط هم خلق كثير، وعليه فالهداية ليست محصورة بعدد محدد، أو بيت معين، والطريق إلى الجنة مفروش بالابتلاء والأشواك، والدموع والدماء، والابتلاء وسيلة لكشف الصالح من المدعي، وهو سنة كونية في أتباع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

والطريق إلى الله يكون باتباع المنهج الذي رسمه القرآن الكريم، ويكون الاتباع قرين الخشية لله تعالى، وهو منوط بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إليه تكون واضحة بينة لا يكتنفها شيء من غموض أو التباس، وهذا هو منهج الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ ومن اتبعه إلى يوم الدين.

وعلى أهل الإيمان أن يتلبسوا بقيم العدالة والإحسان والتكافل الأسري والاجتماعي، وعليهم أن يتخلوا عن القيم السلبية النابعة من الفحشاء والمنكر والبغي، فالمجتمع المسلم ينأى عن كل ما فيه إثم وشر، ويتجه نحو كل خير وصلاح، وسبيل النجاة يكون بالإيمان المقرون بعمل الصالحات، والإيمان بالقرآن وسيلة للنجاح في الدنيا والآخرة.

والإسلام دين الفطرة السوية، وهو الدين القيم الذي ينسجم مع حركة الكون وواقع الحياة، وعلى المسلمين ملازمة تقوى الله، وإقام الصلاة، واجتناب سبيل المشركين الذين تتنازعهم الأهواء والنظريات والاتجاهات المتعددة في الدين والحياة.

والدين واحد، والأنبياء سلسلة في مجموعة واحدة، لذا ينبغي عدم التفرق في الدين، واجتناب سبيل المشركين في التمزق والخصام الديني، ويجب على الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ الدعوة لهذا الدين القويم، وأن يكون مستقيماً في منهجه، مؤمناً برسالته، ملتزماً بالعدالة بين الناس، منتظراً لعدالة الله في الآخرة حيث يحكم الله بينه وبين أعدائه، وهؤلاء الأعداء لا حجة لهم عند الله تعالى، وهم موضع سخطه وغضبه!.

* * *

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقبل أن نختم المبحث الأول، نود تقديم الجدول الآتي لتحليل صفات أهل الإيمان وأعمالهم وسلوكهم ومعتقداتهم التي وردت في القرآن الكريم، والتي استحقوا من خلالها النصر في الدنيا، والفوز بالجنة والنجاة من النار في الآخرة:

صفات عقدية	يؤمنون بالغيب ــ يؤمنون بأركان الإيمان الستة ــ يعلنون إيمانهم ــ التوحيد ــ الدعاء الله تعالى وحده ــ الإخلاص ــ التوكل على الله ــ التقوى ــ كراهية الفساد ــ الخشية ــ انشراح الصدور ولين القلوب بذكر الله تعالى.
صفات تعبدية	الصدق ــ القنوت ــ الإنفاق ــ الاستغفار ــ تلاوة القرآن ــ يؤدون عبادات متميزة ــ يغتنمون الأوقات المميزة للعبادة ــ الصبر ــ اجتناب الكبائر ــ الخوف من الله ــ العمل الصالح ــ الاستغفار ــ ذكر الله تعالى ــ التوبة ــ الزهد.
صفات سلوكية	لديهم مجموعة متميزة من الفضائل كالوفاء بالعهد ــ أداء الأمانة ــ الإيثار ــ التواضع ــ الكلام الطيب ــ اجتناب الموبقات الاجتماعية كشهادة الزور، والقتل، واللغو...
الحياة الاجتماعية	مجتمع متماسك ــ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ــ يطيعون الله ورسوله ــ يحسنون للوالدين ــ يساعدون الطبقات المسحوقة في المجتمع ــ ويملأون الحياة العاطفية بالزواج ــ أو ملك اليمين ــ العفة ــ اجتناب الزنا و مقدماته.
الحياة الاقتصادية	الإنفاق في حالتي السر والعلن ــ الصدقات ــ الزكاة ــ اجتناب الربا ــ اجتناب وسائل الكسب غير المشروع ــ تثمير المال...
الحياة السياسية	يطيعون الله نعالى والرسول صلى الله عليه وسلم ــ يجاهدون في سبيل الله وحده ــ الحذر في الجهاد والالتزام بآدابه ــ يحتكمون لله ولرسوله، يمارسون الصلح فيما بينهم ــ شهداء الله في الأرض ــ يقيمون الحدود ــ العدل ــ طاعة أولي الأمر ــ الحكم بما أنزل الله ــ استئذان النبي ــ الشورى ــ المساواة ــ العدل ــ التسامح مع الآخر.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولدى تأمل صفات المؤمنين التي وردت في كتاب الله العظيم، نجد أنها تنطبق على الصحابة جميعاً رضي الله عنهم، بل هم الجيل الأول المعني بها مباشرة، وهم صفوة هذه الأمة وسادتها وغررها، وليس بين هذه الصفات كلها أنهم يؤمنون بشخص معين يكون وصياً عليهم بعد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ، مما يعني أن الأمر شورى كما أكدته سورة الشورى، وأن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ كانوا على حق في توليتهم للخلفاء الراشدين، ولا تجتمع هذه الأمة على ضلالة!.

* * *

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثاني: مجموعة آيات تتحدث عن أن الجزاء من جنس العمل

الأساس في الإسلام هو العمل، فكل إنسان مسئول عن عمله، والجزاء من جنس العمل، وقد جعل الله تعالى جزاءَ المؤمنين الحسنى، وجزاء الكافرين العذاب الخالد، ونناقش هنا بالتفصيل موقف الدين من مسألة القرابة، وهل تنفع القرابة في الآخرة؟، ثم نتحدث عن ميزان الله وهو ميزان عادل مستقيم، ونعرض بعد ذلك لمسألة الشفاعة.

تلك هي أهم موضوعات هذا المبحث.

أولاً: الجزاء من جنس العمل

وهي حقيقة إلهية قررتها الشرائع السماوية جميعها:

40- قال تعالى: (قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) (سورة الأنعام: 342). وقال تعالى: (مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً) (سورة الإسراء: 33). وقال تعالى: (وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ) (سورة فاطر: 36). وقال تعالى: (إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) (سورة الزمر: 5). وقال تعالى: (أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) (سورة النجم: 16).

تكرر لفظ (وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى). في خمس سور قرآنية، وكان في آخر سورة بدون واو، ومعنى تزر: تحمل، ووازرة أي نفس آثمة[14]، والمعنى: لا أحد يحمل عن أحد ذنبه يوم

[14] – انظر: تفسير الجلالين، ص (330).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القيامة[15]، وذلك ليتحمل كل إنسان مسئولية عمله، قال تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) (سورة العنكبوت: 32).

43- قال تعالى: (وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى، وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى، ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى). (سورة النجم:17- 23).

تبين الآيات الكريمات أن الإنسان سيجازى على سعيه الجزاء الأكمل، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

ثانياً: جزاء المؤمنين الحسنى

42- قال تعالى: (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (سورة الأعراف: 21).

يبين الله ــ سبحانه ــ في هذه الآية: أن سبب دخول المؤمنين الجنة هو عملهم الصالح، وان ما في صدور بعضهم من غل نحو أخيه يترعه الله تعالى في الجنة، فإذا هم جميعاً إخوة متحابون.

41- قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (10) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (13) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (12) وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (11) وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (12) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ). (سورة فصلت: 10-13)

يبين الله ــ سبحانه ــ في هذه الآيات: أن سبب دخول المؤمنين الجنة هو توحيدهم لله وإيمانهم بالدين، والتزامهم به منهجاً لا يحيدون عنه، وقد أتبعوا ذلك بدعوتهم لهذا الدين، وعملهم

---

[15] – الوزر: الثقل، تشبيها بوزر الجبل، ويعبر بذلك عن الإثم، والمعنى: لا يُحمل وزره حيث يتعرى المحمول عنه. انظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب، مادة (وزر).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الصالح، وإعلان انتسابهم للإسلام، واعتزازهم بهذا الدين، والسلوك الكريم الذي يتعالى عن ردات الفعل السلبية، وهم يصبرون في التزامهم، ويدفعون ضريبة ذلك أعظم التضحيات.

42- قال تعالى: (وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ) (سورة سبأ: 15).
وقال تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) (سورة العنكبوت: 5). وقال تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ) (سورة العنكبوت: 7).
يبين الله ـــ سبحانه ـــ في هذه الآيات: أن سبب دخول المؤمنين الجنةَ هو: الإيمان والعمل الصالح، ولهم بذلك الأجر المضاعف، والصفح عن زلاتهم وأخطائهم، والأمن والنعيم الخالد.

43- قال تعالى: (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ) (سورة الرحمن: 24).
يبين الله ـــ سبحانه ـــ في هذه الآية: أن سبب دخول المؤمنين الجنة هو: خوفهم منه سبحانه، هذا الخوف الذي دفعهم لفعل المأمورات وترك المحظورات.

44- قال تعالى: (آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ) (سورة الحديد: 5).
يبين الله ـــ سبحانه ـــ في هذه الآية: أن سبب دخول المؤمنين الجنة هو: الإيمان بالله ورسوله والإنفاق، وذلك أن الإنفاق هو الدعامة الاقتصادية للمجتمع المسلم، وبه تتقوى دعائم الإيمان، فلا تقوم دعوة بلا مال!.

45- قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ) (سورة الأنبياء: 303).
يبين الله ـــ سبحانه ـــ في هذه الآية: أن سبب دخول المؤمنين الجنة أنه قد أنزلهم المنزلة الحسنى[16]، وهي كناية عن الإيمان والعمل الصالح.

[16] - انظر: تفسير الجلالين، ص (110).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

46- قال تعالى: (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (5) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (6) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ). (سورة غافر: 5-7)

يبين الله ـــ سبحانه ـــ في هذه الآيات: أن حملةَ العرش ـــ وهم من أعظم الملائكة شأناً ـــ يقومون إضافة للتسبيح والتحميد، بالاستغفار للمؤمنين!. ويدعون لهم بالنجاة من النار ودخول الجنة! وذلك مع الصالحين من أصولهم وفروعهم وأزواجهم!. ويذكرون مناقب المؤمنين بأنهم: تابوا ورجعوا واتبعوا سبيل الله!. ثم يطلبون من الله تعالى لهم الثبات وعدم الرجوع إلى الغواية، وأن يقيهم شر هذه السيئات يوم القيامة!.

ما أعظم أن تستغفر الملائكة من حملة لعرش للمؤمنين!، وهم أقرب الخلق لرب العالمين! بينما يلوك بعض الناس ألسنتهم في أعراض المؤمنين من السلف الأطهار، وحسبنا الله ونعم الوكيل!

ولو سلمنا جدلاً أن بعض المؤمنين أخطؤوا في اجتهادهم، أو كانوا من الفئة الباغية! فهل يكفر مؤمن بالمعصية، وهل تذهب جميع أعماله بغلط واحد، حاشا وكلا!، ولقد أحسن من قال:[17]

بشرى لنا معشر الإسلام إن لنا
من العنايـــــــــــــةِ ركناً غيرَ منهدمِ
لما دعا الله داعينـــــــــــــــا لطاعتهِ
بأكرمِ الرســـــــــــــلِ كنا أكرم الأممِ

ثالثا: جزاء الكافرين العذاب الخالد

47- قال تعالى: (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) (سورة الجاثية: 23).

[17] - انظر: بردة المديح المباركة، ص (22).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بينت هذه الآية: أن ثمة اختلاف بين مصير المؤمنين الطائعين، والكافرين العاصين، ويشمل ذلك الدنيا والآخرة!.

50- قال تعالى: (وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ) (سورة فصلت: 37). و قال تعالى: (ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ) (سورة فصلت: 26).

بينت هاتان الآيتان: أن الكافرين هم أعداء الله، وأن مصيرهم إلى النار خالدين فيها.

53- قال تعالى: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً) (سورة النساء: 323).

بينت هذه الآية: أن النار مصير أهل النفاق أيضاً.

52- قال تعالى: (وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً) (سورة النساء: 320).

بينت هذه الآية أن مصير الكفار والمنافقين واحد، وهم سيجتمعون في نار جهنم.

51- قال تعالى: (مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ، قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ). (سورة المدثر: 21).

بينت هذه الآية: أن ترك الصلاة يؤدي إلى النار، فالمعاصي تقود إلى النار إذا لم يتب المرء منها!، ومن ذلك أيضاً: أكل أموال اليتامى بالباطل، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً) (سورة النساء: 30).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رابعا: الدين ومسألة القرابة

تتشابك العلاقات الاجتماعية بين الناس، وذلك بسبب القرابة والبيئة والدين وغير ذلك... فهل تنفع القرابات في الآخرة؟. هنالك تفصيل بشأن نفع القرابة، يمكن حصره بالآتي:

أ- قرابة العصاة من المؤمنين لا تنفعهم في الآخرة

52- قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آَدَمَ وَنُوحًا وَآَلَ إِبْرَاهِيمَ وَآَلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (11) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ). (سورة آل عمران: 11-12). وقال تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرائيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً، فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً، إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئاً) (سورة مريم:36-40).

في هذه الآيات بين ربنا ــ عز وجل ــ فضائل بعض الناس على العالمين، ثم بين أنه جاء بعدهم خلف من أولاد وأحفاد بدلوا وغيروا، فلم ينفعهم ذلك النسب، فقد حق عليهم العذاب!. إلا من تاب منهم وآمن، وقرن العمل الصالح بالإيمان!.

53- قال تعالى: (وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (23) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (24) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (سورة هود: 23-25). وقال تعالى: (قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (35) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (36) إِلَّا آَلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (37) إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ (سورة الحجر: 35-40).

في هذه الآيات نجد: أن نوحاً ــ عليه السلام ــ قد أخذته عاطفة الأبوة بشأن ابنه الهالك، فنهاه الله عن ذلك، فتبرأ من ولده الكافر!. وكذلك الأمر بالنسبة إلى لوط ــ عليه السلام ــ فقد نجاه الله دون زوجته الكافرة!، وعليه فالأصل في الإيمان أنه لا ينتقل بالوراثة!.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

54- قال تعالى: (وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ). (سورة البقرة: 322). وقال تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ). (سورة البقرة: 324). وقال تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ، رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (سورة إبراهيم: 13-14).

يبين الله ـــ سبحانه ـــ في هذه الآيات أن من ذرية إبراهيم ـــ عليه السلام ـــ من هو مؤمن، ومنهم من هو ظالم لا ينال عهد الله سبحانه، وأن منهم من سيكون كافراً عابداً للأوثان، فلو كان النسب يحول بين المرء والانزلاق في الكفر؛ لنفع هؤلاء نسبهم لإبراهيم عليه السلام!.

55- قال تعالى: (لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (سورة المجادلة: 22).

في هذه الآية الكريمة نهى الله عباده المؤمنين عن موادة من حارب الله ورسوله من أهل الشرك والنفاق، ولو كانوا من أقرب القرباء لهم من حيث الرحم!. فالقرابة لا تنفع عند الله حينما تختلف الأديان!.

ب- لا قرابة تنفع في بعض مواقف الآخرة

56- قال تعالى: (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ) (سورة المؤمنون: 303). وقال تعالى: (لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (سورة الممتحنة: 1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في بعض مواقف الآخرة، وبسبب أهوالها الفظيعة يهرب المرء من أقرب المقربين إليه إذا رآهم، ولا ينجو من هذا الموقف أولو العزم من الرسل، باستثناء سيدنا محمد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كما ورد في حديث الشفاعة.[18]

وعليه فينبغي للإنسان أن يعول على عمله لا على نسبه، وهذا هو الأصل في التصور الإسلامي للعبادة في الدنيا لكي تكون سبيلاً للنجاة في الآخرة، وهو ما أرشد إليه النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ حين قال: (يا معشر قريش! اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً. ويا بني عبد مناف! لا أغني عنكم من الله شيئاً. يا عباس بن عبد المطلب! لا أغني عنك من الله شيئاً. يا صفية عمة رسول الله! لا أغني عنك من الله شيئاً. ويا فطمة بنت محمد! سليني من مالي ما شئتِ، لا أغني عنك من الله شيئاً).[19]

ج- القرابة قد تنفع المؤمنين فيما بينهم

57- قال تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ) (سورة الطور: 23).

معنى ألتناهم: نقصناهم[20]، قال ابن عباس: (إن الله ليرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه في العمل؛ لتقر بهم عينه)، ثم قرأ الآية السابقة[21]، وهذا من كرم الله تعالى، فإذا كانت الذرية الأقرباء مؤمنين، رفعهم الله تعالى إلى درجة آبائهم... يلاحظ أن الذرية هنا دخلت الجنة بعملها وإيمانها، وإنما ارتفع مقامها في الجنة بسبب عمل آبائها، وأما حيث لا إيمان ولا عمل صالح؛ فلا تنفع قرابة ولا نحوها، وليس ثمة شيء غير النار يصلاها الشقي والعياذ بالله تعالى!.

---

18 - الحديث رواه أنس وهو متفق عليه، انظر: مشكاة المصابيح، (1/3324-3325) الحديث (3352).

19 - متفق عليه عن أبي هريرة، انظر: مشكاة المصابيح، (1/3255) الحديث (3151).

20 - انظر: القاموس المحيط، مادة (ألت).

21 - مختصر تفسير ابن كثير، للصابوني، (1/173).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خامساً: الميزان عادل مستقيم

جعل الله تعالى يوم الدين يوماً للجزاء العادل.

60- قال تعالى: (فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ (4) فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ (5) وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (6) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ (7) (سورة الأعراف: 4-7).

يبين الله ــ سبحانه ــ في هذه الآيات: أنه سوف يسأل رسله ــ عليهم الصلاة والسلام ــ عما بلغوا، ويسألُ الأقوامَ هل بُلغوا، وبعد إقامة الحجة يضع ميزاناً عادلاً، وسوف يلاقي كل إنسانٍ نتيجة عمله.

63- قال تعالى: (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ) (سورة الأنبياء: 25)وقال تعالى: (يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (4) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (5) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ). (سورة الزلزلة: 4-6).

هكذا هو الحساب الدقيق العادل الحق.. ولا ظلم مع الميزان العادل الذي يزن بمثقال حبة الخردل، بل بمثقال الذرة!.

62- قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (سورة الحج: 35)

تبين الآية الكريمة: أن الله تعالى سيحاسب جميع الناس أياً كان دينهم، فهو حساب شامل للبشرية كلها بكافة أديانها وأعراقها وأشكالها وألوانها، وليس ثمة أمل للمرء إلا عفو الله تعالى!، قال أبو فراس:[22]

ولا أملَ غيرُ عفـــــو الإلهِ
ولا عمل غيرُ ما قد مضى

[22] – انظر: مختارات البارودي (253/2).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فإنا كـــانَ خيراً فخيراً تنالُ
وإن كـــــان شراً فشراً ترى

سادساً: مسألة الشفاعة

61- قال تعالى: (لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْداً) (سورة مريم: 65).
وقال تعالى: (يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَـــوْلاً) (ســـورة طـــه: 307). وقال تعالى: (وَلا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَـــالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) (سورة سبأ: 21).

من كرم الله عز وجل أن جعل الشفاعة يوم القيامة، والشفاعة تكون للعصاة ممن آمن، ولكـــن كانت لديه بعض المعاصي، فأوجبت دخوله إلى النار، فقد يدرك بعض هؤلاء العصاة رحمةُ الله، فيشفع لهم أحد أنبيائه أو شهدائه أو أوليائه، أو يسامحهم هو بمنه وكرمه سبحانه وتعالى!.

والشفاعة عامة للمؤمنين، وشرطها أنها تُطلب من الله تعالى، فإذا أذن الله تعالى لشافعٍ أن يشفع لإنسان ما: شفعَ له، وإذا لم يأذن لم يشفع له، وعليه فالشفاعة انتقائية لبعض المؤمنين بســـبب قرابة، أو عمل صالح عملوه، وليس من الضروري أن تقبل لكل من يطلبها.

وعليه لا ينبغي التعويل عليها من دون إيمان وعمل صالح، فهذا ضرب من المحال، وأمـــا بعـــد الإيمان والعمل الصالح فيطمع المرء فيها، لعل الله يعتقه بها من النار!.

ونستنتج مما سبق:

أن الجزاء من جنس العمل، وأن مصير المؤمنين الصالحين إلى الجنة، والكافرين الفاســـدين إلى النار، وتلك قضية محسومة عقلاً ونقلاً، ذكرنا النصوص لتأكيدها، وذلك اتباعـــا للمنهجيـــة العلمية في البحث كله، وإلا فهي قضية واضحة، وقد قال المتنبي:[23]

وليس يصح في الأذهان شيءٌ
إذا احتاج النهارُ إلى دليـــــــــــــــلِ

[23] - انظر: مختارات البارودي (16/3).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأما القرابة فهي لا تنفع إذا لم تقترن بالإيمان والعمل الصالح، وهي قد تنفع المؤمنين فيما بينهم، وذكرنا أن ميزان الله عادل مستقيم، وأن الشفاعة عامة للمؤمنين، وليس من الضروري أن تقبل لكل من يطلبها، وعليه لا ينبغي التعويل عليها من دون إيمان وعمل صالح، فهذا ضرب من المحال!.

* * *

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الثاني

فضائل الجيل الأول من آل البيت والصحابة رضي الله عنهم

الجيل الأول الذي صحب الرسول صلى الله عليه وسلم هو خير هذه الأمة وطليعتها وصفوتها، تحمل مختلف أشكال العذاب، وقدم كل ألوان البطولة والفداء، نصرةً للدين الخالد والنبي العظيم صلى الله عليه وسلم.

وسوف نتناول في هذا الفصل مجموعة من الآيات تتحدث عن آل البيت رضي الله عنهم، ونذكر أن مصطلح آل البيت له أكثر من دلالة... ونتناول في هذا المبحث بعض ما ورد من نصوص تحدثت عن نساء النبي أمهات المؤمنين وسيدات بيت النبوة، وعتاب الله لبعض نساء النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، وقصة المباهلة وآل البيت، ودفاع الله تعالى عن آل البيت، ونبين أنه لا وراثة للنبوة، فآل البيت ليسوا بأنبياء، وليسوا ملوكاً... وهم أشرف الناس، وشرفهم العظيم لا يعني تفضيلهم على من سواهم من كبار الصحابة، لأن الله تعالى حدد التفضيل بالتقوى وحدها!.

كما سنتناول مجموعة من الآيات تتحدث عن الصحابة إجمالاً رضي الله عنهم، حيث يثني ربنا تبارك وتعالى عليهم جميعاً، ويذكر رضاه عنهم، ورضاهم عنه، وما أعد لهم من الجنات والنعيم الخالد، ويذكر مساعدته لهم في الأوقات العصيبة... و قد ذكر صفتهم في الكتب السابقة لكمال عنايته بهم، وأشاد بأدبهم مع النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، وذكر فضله ـــ سبحانه ـــ عليهم رضي الله عنهم جميعاً، ولكنه لم يذكر من سيكون منهم خليفة رسوله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ.

ونتناول أيضاً: مجموعة من الآيات تتحدث عن مواقف بعض المؤمنين من الصحابة رضي الله عنهم، فليس ثمة شيءٍ أدل على عظم منزلة هؤلاء الأصحاب عند الله تعالى من أن يتنزل الوحي على رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ بشأن بعضهم أحياناً، إما مادحاً لأحدهم على سلوك فعله، أو مشيداً بفضله، أو تائباً عليه... لقد كانوا جميعاً موضع عناية الله المجملة والتفصيلية بكل شأن من شئونهم، فهو دائماً يُعدهم ويقومهم ويسددهم، حتى أصبحوا بفضله

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خير جيلٍ عرفته البشرية عبر تاريخها الطويل، ومن كان هذا شأنهم؛ فهم مبرؤون مما يرمون به من النقائص التي تمس العقيدة والسلوك، والتحريف والتبديل في الدين، لأنهم أحرص الناس على طاعة الرسول واتباعه حياً وميتاً صلى الله عليه وسلم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الأول: مجموعة آيات تتحدث عن آل البيت رضي الله عنهم

آل البيت مصطلح له أكثر من دلالة، فهو بالمعنى العام: كل من آمن بالنبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، ولذلك كان سلمان الفارسي رضي الله عنه من آل البيت[24]، وهذا غاية التقدير من النبي عليه الصلاة والسلام لسلمان رضي الله عنه، وفي ذلك يقول أبو فراس:[25]

كانت مودةُ سلمان له رحماً

ولم يكن بين نوحٍ وابنه رحمُ

وأما المعنى الخاص، فهم: نساء النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وأولاده وبناته وأحفاده، وأصهاره أو بعضهم، ثم أعمامه وأبناء عمومته، وهؤلاء لا تحل لهم الصدقة.

وسنتناول في هذا المبحث بعض ما ورد من نصوص تحدثت عن نساء النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وهن أمهات المؤمنين وسيدات بيت النبوة، وعتاب الله لبعض نساء النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، وقصة المباهلة وآل البيت، ودفاع الله تعالى عن آل البيت، ونبين أنه لا وراثة للنبوة، ونذكر بقاء النسب الشريف من السيدة الزهراء رضي الله عنها وأرضاها.

أولاً: نساء النبي أمهات المؤمنين وسيدات بيت النبوة

62- قال تعالى: (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (12) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (11) وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا). (سورة الأحزاب: 12-12).

---

[24] – في الحديث: (سلمان منا أهل البيت). رواه الطبراني والحاكم عن عمرو بن عوف ورمز السيوطي لصحته، انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، (304/2).

[25] – ديوانه، ص (311).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المقصود بالرجس: الشيء القذر[26]، وهذه الآيات خطاب مباشر من الله تعالى لنساء نبيه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ يأمرهن فيه بالتقوى والحجاب، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، حتى يطهرهم الله بهذه العبادات من الرجس، ويأمرهن بذكر الآيات والحكمة.

وليس ثمة ما يشير إلى أن هذه الآيات كانت بحق أحد غير نساء النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ كما يوضح ذلك سياق الآيات[27]، ولو أن نساء الرجل لسن من أهل بيته كما يظن البعض؛ إذاً لانتفى أن تكون خديجة من آل البيت، وانتفى أن تكون فاطمة من آل علي، رضي الله تعالى عنهن جميعاً.

فإن قيل: فما القول فيما روته عائشة، قالت: خرج الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ غداةً وعليه مِرطٌ مُرحَّل من شعر أسود، فجاء الحسنُ بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) [28]. أليس المراد من آل البيت هؤلاء؟.

قلنا: هذا الحديث يدل على أن فاطمة وأولادها وزوجها علي رضي الله عنهم جميعاً من آل البيت، ولكن لا ينفي أن له أهلاً سواهم، فأهل الرجل هم أزواجه وأولاده وأصهاره، فالآية عامة، والحديث من إطلاق الكل وإرادة الجزء، أي هؤلاء بعض من آل بيتي؛ وإلا فلا يمكن أن تكون البنت من آل البيت دون سواها، ويؤكد ما ذهبنا إليه قوله تعالى: (قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) (سورة هود: 51). فالآية نزلت في شأن سارة زوج سيدنا إبراهيم عليه السلام، وهي دعاء من الملائكة لأهل بيت إبراهيم، و لم يكن في هذا البيت إلا إبراهيم وزوجه، **فكلمة أهل البيت تدل على أن الزوجة مقصودة في هذه الآية، وهي من آل البيت.**

وهذا الحديث يدل على أمانة الصديقة بنت الصديق، إذ رغم خلافها السياسي مع علي ـــ رضي الله عنه ـــ فقد أقرت بفضله و لم تخف هذا الحديث ولا غيره، رضي الله عن الجميع.

---

[26] – ويكون الرجس من أربع جهات: من حيث الطبع، ومن جهة العقل، كالشرك. ومن جهة الشرع، كلحم الخنزير. أو من كل ما سبق، كالميتة. انظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب، مادة (رجس).

[27] – انظر: مختصر تفسير ابن كثير، (1/72-73).

[28] – رواه مسلم، مشكاة المصابيح، (1/3513).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فإن قيل: إذا دخل علي في آل البيت فهل يدخل عثمان؟

والجواب: أن علياً إن دخل كصهر فعثمان يدخل كذلك، لأنه زوج ابنتي رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، وإن دخل كابن عم، فإن عثمان من أبناء عمومة الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، ويلتقي معه في النسب، ولكنه من أبناء عبد شمس وليس من أبناء هاشم، فيبعد أن يدخل بهذا الاعتبار، والأولى منه في هذه الحالة أولاد العباس، وأولاد بقية أعمام النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ ممن أسلم منهم.

فإن قيل: هل التطهير خاص بآل البيت؟

والجواب: التطهير عام في المؤمنين، قال تعالى: (إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ) (سورة الأنفال: 33). وقال تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً) (سورة الفتح: 2). فتطهير الله تعالى لصحابة نبيه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ يشبه تطهيره آل البيت، فهم في الطهر بمعناه العام سواء!، وهذا لا يمنع أن يكون بعضهم أطهر من بعض!.

فإن قيل: إن المصدر المؤكد (تطهيراً) يدل على زيادة التطهير لآل البيت.

فالجواب: نعم، لما كان نساء النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ متميزات ولسن كأحد من النساء في المنزلة، فقد أمرهن في الآيات الكريمة السابقة بالتقوى والحجاب، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، حتى يطهرهن الله بهذه العبادات من الرجس، **وهذه الأوامر ليست خاصة بهن، بل هي عامة للمؤمنين أيضاً، كوصية يعقوب لأولاده بعبادة الله وحده، فهي ليست وصية لهم دون سواهم، وإنما تأكيد عليهم لقربهم منه أكثر من غيرهم**، والتطهير لنساء النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ هو ارتفاعهن بالتقوى والعبادة والحشمة عن بقية النساء، صيانة لبيت النبوة من جهة، ودرءاً لألسنة الفاسدين من المنافقين الذين يلوكون ألسنتهم بأعراض الناس، ولذلك قال تعالى: (لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ) (سورة النور: 32).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فإن قيل: هل التطهير يعني العصمة؟.

قلنا: معنى طهرت الشي: نظفته، فكيف أنظفه إذا كان نظيفاً؟!. فطالما طهرهم من الذنوب وأدران أهل الجاهلية الأولى؛ فهو لم يعصمهم، وإنما سامحهم، والمعصوم وحده هو النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ المبلغ عن ربه، قال تعالى: (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً، لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً) (سورة الفتح: 3-2).

ثانياً: عتاب الله لبعض نساء النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ.

63- قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (3) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (2) وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (1) إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (2) عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا). (سورة التحريم: 3-3).

هاهنا عتاب من الله لنبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن تحريمه بعض ما أحل الله تعالى له من الحظوظ النفسية، وحديث عن التحلل من الأيمان، وتوجيه لبعض نساء النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالتوبة[29]، وتحذير لهن من الطلاق، وأن الله تعالى قادر على أن يبدله أزواجاً خيراً منهن، ولما مات ــ صلى الله عليه وسلم ــ دون أن يطلقهن، علمنا أنهن خير النساء، وأنهن زوجاته ــ صلى الله عليه وسلم ــ في الدنيا والآخرة.

ثالثاً: قصة المباهلة وآل البيت

64- قال تعالى: (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ). (سورة آل عمران: 43).

---

[29] – رجح ابن كثير أنهما عائشة وحفصة رضي الله عنهما، انظر: مختصر تفسير ابن كثير، للصابوني، (320/1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يلاحظ الجمع: أبناءنا، ونساءنا وأنفسنا، لتشمل جميع المؤمنين أو خيارهم، ولو كان سيدعو امرأة واحدة أو ولداً واحداً لم يجمع، ثم ماذا نعمل بالضمير في أنفسنا؟ هل يتحدث عن نفسه ويجعلها أنفس؟ من المعتاد أن يتحدث المفرد بلغة الجمع، ولكن لا يجمع لفظ يدل على المفرد (نفس) ثم يضيف له (نا) إلا إذا كانت القضية تعني الجميع، ولا تعنيه وحده ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، ويؤكد هذا أن كلمة أنفس جاءت حديثاً للجماعة في القرآن، كما في قوله تعالى: (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ) (سورة الأنعام: 310)، وقال أيضاً: (قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (سورة الأعراف: 21).

فإن قيل: لما نزلت الآية السابقة، دعا رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي)[30]، فهل هؤلاء وحدهم قد طلبوا للمباهلة؟.

قلنا: الآية تقول نساءنا ولفظ الجمع ليس يفيد امرأة واحدة بعينها وهي السيدة فاطمة... وكذا الشأن في بقية ألفاظ المدعوين كما فصلنا سابقاً، والمراد من الحديث إذاً: هؤلاء أخص آل بيتي، لأن الآية ابتدأت بذكر الأبناء، وقد توفي أبناؤه وبناته ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ في حياته، و لم يبق له إلا فاطمة وأبناؤها رضي الله عنهم، فأمر طبيعي أن يدعوها مع أبنائها وزوجها علي ـــ رضي الله عنهم جميعاً ـــ فقد كان بمنزلة أخيه الصغير، وبقول هؤلاء أهل بيتي، ولكن لا يعني هذا حصر آل البيت فيهم دون سواهم، فهو من ذكر لفظ الكل وإرادة البعض، أي هؤلاء بعض أهل بيتي، أو خاصة أهل بيتي، فلا بد من الجمع بين النصوص وفهمها وفق مقتضى لغة العرب!.

والآية السابقة نزلت في شأن نصارى نجران، وقد جاء وفدهم إلى النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، فدعاهم للمباهلة فتريثوا في أمرهم، ثم رفضوا، وطلبوا من الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ أن يبعث معهم أحد أصحابه فبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح، فلم تحدث المباهلة، و لم

[30] – رواه مسلم عن سعد بن أبي وقاص، انظر: مشكاة المصابيح، (3513/1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يدع رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ بعض أفراد أسرته دون بعض، ليقال بعد ذلك: هؤلاء فقط آل البيت، والله أعلم.[31]

رابعاً: دفاع الله تعالى عن آل البيت

65- قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ، لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ) (سورة النور:33-32).

قصة الإفك معروفة، وقد دافع الله عن زوجة نبيه عائشة ـــ رضي الله عنها ـــ وبرأها مما قيل في حقها من زور وبهتان، ثم أمر الله تعالى المؤمنين بحسن الظن، ونهاهم سبحانه عن الخوض في ما لا علم لهم به، قال تعالى: (وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ)، ثم أعقب ذلك بعدة آيات قوله تعالى: (الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّأُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) (سورة النور: 24). وهذه آية عامة، تبين أن الله تعالى أعد لكل زوج ما يشاكله، ولكنها جاءت في سياق قصة الإفك، فهي تأكيد لتبرئة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فهي طيبة وزوجة النبي الطيب صلى الله عليه وسلم[32]، وقد صان الله جنابها بآياته البينة التي أنزلها في سورة النور، وفي هذا الصدد قال الزمخشري: ".. ولقد برأ الله تعالى أربعة بأربعة: برأ يوسف بلسان الشاهد (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا) (سورة يوسف: 24). وبرأ موسى من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه. وبرأ مريم بإنطاق ولدها حين نادى من حجرها: إني عبد الله. وبرأ عائشة بهذه الآيات العظام في كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر، مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات. فانظر، كم بينها وبين تبرئة أولئك؟! وما ذاك إلا لإظهار علو منزلة رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، والتنبيه على إنافة محل سيد ولد آدم، وخيرة الأولين والآخرين، وحجة الله على العالمين".[33]

خامساً: لا وراثة للنبوة، وبقاء النسب الشريف من السيدة الزهراء

---

[31] – انظر: السيرة النبوية، لابن هشام، (1/1-6).

[32] – انظر: تفسير الكشاف، (223/1).

[33] – تفسير الكشاف، (221/1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

66- قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ) (سورة الأنبياء: 5).

فالأنبياء جميعاً من الرجال، ومحمد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ خاتمهم، قال تعالى: (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً) (سورة الأحزاب: 20). يلاحظ أنه نفى أبوته عن أيٍ من المؤمنين، ثم أعقب ذلك بذكر أنه خاتم النبيين، فلو كان أباً لأحد من الرجال لاحتمل أن لا يكون خاتم النبيين!، يؤيد هذا قول رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ: (لو عاش إبراهيم لكان صديقاً نبياً).[34]

وعليه فلا وراثة للنبوة، لأن إبراهيم قد مات صغيراً، وجميع الذكور من أولاد الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد ماتوا صغاراً في حياته، والأنبياء من الرجال، قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ) (النحل:21). والرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ لم يخلف رجلاً.

بقيت الوراثة من جهة الملك، وهي منفية عنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ، وذلك لأنه عبد رسول وليس بملك رسول.

وقد بقي نسبه الشريف من جهة السيدة فاطمة رضي الله عنها، ونحن نعتقد بطهارة هذا النسب، وللمسلمين أن يختاروا من يحكمهم، فإذا اختاروا رجلاً يجمع حسن العمل وطهارة النسب؛ فذلك شيء حسن!، وقد قيل في فضل الانتساب لآل البيت الأطهار:

من مثلكم لرسولِ الله ينتسبُ
ليت الملوك لها من جدكم نسبُ
ما للسلاطين أحسابٌ بجانبكم
هذا هو الشرف المعروف والحسبُ

وإذا اختاروه لعمله فقط فلهم ذلك، وآل بيت النبوة لا يزينهم الملك بل هم يزينون الملك، فإذا جاءهم الملك طوعاً فحباً وكرامة، وإذا لم يأتهم كانوا أزهد الناس فيه، ولذلك تنازل سيدنا

[34] – رواه أحمد وابن ماجه، انظر: فيض القدير، (3/120-123).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحسن عن الخلافة لمعاوية حرصاً على وحدة الأمة، رضي الله عن الصحابة والآل جميعاً، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

ويؤيد ما ذهبنا إليه من أن آل البيت أكبر شأناً من أن يبحثوا عن ملك وسلطان قول ابن عمر للحسين رضي الله عنهما: "إني محدثك حديثاً، إن جبريل أتى النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ فخيره بين الدنيا والآخرة، فاختار الآخرة و لم يرد الدنيا، وإنك بضعةٌ من رسول الله؛ والله ما يليها أحد منكم أبداً؛ وما صرفها الله عنكم إلا للذي هو خير لكم".[35]

وفي الإطار نفسه قال ابن عباس للحسين ـــ رضي الله عنهما ـــ مشفقاً ومحذراً وناصحاً: "يا ابن عم! إني أتصبر ولا أصبر، إني أتخوف عليك في هذا الوجه الهلاك، إن أهل االعراق قوم غدر، فلا تغترن بهم...".[36]

وهذا كان شعور معظم الصحابة، فقد كانوا يخافون على الحسين، ويخافون من وقوع الفتن، وفي هذا السياق أيضاً قال عبد الله بن عمرو: "عجل حسين قدره، والله لو أدركته ما تركته يخرج إلا أن يغلبني، ببني هاشم فتح هذا الأمر، وببني هاشم يختم، فإذا رأيت الهاشمي قد ملك فقد ذهب الزمان".[37]

ونستنتج مما سبق:

أن آل البيت الأطهار هم أشرف الناس، وحبهم واجب، قال الشافعي:[38]

يا آلَ بيت رسولِ اللهِ حبُكُمُ
فرضٌ منَ اللهِ في القرآنِ أنزلهُ
يكفيكمُ من عظيمِ الفخرِ أنَّكمُ
منْ لم يصلِّ عليكمْ لا صلاةَ لهُ

---

[35] – البداية والنهاية، (342/6).

[36] – المرجع السابق، (342/6).

[37] – المرجع السابق، (341/6).

[38] – ديوان الشافعي، ص (32).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولكنَّ شرفهم العظيم لا يعني تفضيلهم على من سواهم من كبار الصحابة مطلقاً، لأن الله تعالى حدد التفضيل بالتقوى وحدها، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (سورة الحجرات: 31).

ويتكون آل البيت ابتداءً من نساء النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وذريته وأحفاده... وقد عاتب الله بعض نساء النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ، وقد بينا قصة المباهلة وعلاقتها بآل البيت، وذكرنا كيف دافع الله تعالى عن آل البيت، وتبين أنه لا وراثة للنبوة، فآل البيت ليسوا بأنبياء، وليسوا ملوكاً لأن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ليس ملكاً فيورث، بل هو سيد العابدين، قال تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا) (سورة الكهف: 3).

وقد وعد الله تعالى نساء النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بثواب الآخرة، قال تعالى: (وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً) (الأحزاب:13). كما وعد الله رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بثواب الآخرة أيضاً، قال تعالى: (وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى) (سورة الضحى: 2). وقد خيره ربه في حياته بين أن يكون نبياً عبداً، أو نبياً ملكاً، فاختار أن يكون: (نبياً عبداً)[39]، وتحدثنا عن بقاء النسب الشريف من السيدة الزهراء رضي الله عنها وأرضاها.

* * *

[39] – انظر: مشكاة المصابيح، (3422/1) الحديث رقم: (3613 – 3614).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثاني: مجموعة آيات تتحدث عن الصحابة إجمالاً رضي الله عنهم

في القرآن الكريم حديث متكرر عن الصحابة: المهاجرين منهم والأنصار، حيث يثني ربنا تبارك وتعالى عليهم جميعاً، ويذكر رضاه عنهم، ورضاهم عنه، وما أعد لهم من الجنات والنعيم الخالد، ويذكر مساعدته لهم في الأوقات العصيبة: من معارك غير متكافئة، يُفترض ــ بالمقاييس المادية ــ أن تكون الغلبة لعدوهم، ولكن الله تعالى أمدهم بالملائكة لتثبتهم، وبالماء ليطهرهم، وبالسكينة في المواقف التي تتزلزل فيها الأقدام... ولا عجب في ذلك، فهم جنده الذين أيد الله تعالى بهم نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ، وقد شهد الله لهم بالإيمان، وذكر صفتهم في الكتب السابقة لكمال عنايته بهم، وأشاد بأدبهم مع النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ، وذكر فضله ــ سبحانه ــ عليهم رضي الله عنهم جميعاً، وهو ما سنلمسه من خلال هذا المبحث.

أولاً: رضاء الله عن الصحابة جميعاً

67- قال تعالى: (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (سورة التوبة: 300).

تبين هذه الآية الكريمة: أن الله تعالى رضي عن عامة الصحابة، السابقين منهم ومن آمن منهم متأخراً ومن اتبعهم بإحسان، وأنهم رضوا عنه، فهو رضاء متبادل، وياله من كرم إلهي أن يذكر رضاهم عنه، وهو الغني عن العالمين سبحانه وتعالى!.

70- قال تعالى: (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً) (سورة الفتح: 36).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تبين هذه الآية الكريمة: أن الله تعالى رضي عن الصحابة الذين بايعوا رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ تحت الشجرة، وسميت بيعة الرضوان، بايعوا رسول الله على الموت، وقيل أن لا يفروا.[40]

73- قال تعالى: (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) (سورة التوبة: 335).

تبين هذه الآية الكريمة: أن الله تعالى تاب على نبيه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ بإذنه للمنافقين بالتخلف عنه، وتاب على المهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في غزوة تبوك، وكانت تسمى غزوة العسرة، لقلة الظهر ـــ المراكب ـــ والزاد، والماء.[41]

72- قال تعالى: (لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ) (سورة التوبة: 306).

أثنى الله تعالى على الصحابة المتطهرين، والمسجد الذي أسس على التقوى، وهو مسجد الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ في المدينة، وقيل مسجد قباء.[42]

71- قال تعالى: (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً) (سورة الكهف: 26).

هنا أمر الله تعالى نبيه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ بالتزام الأصحاب والبقاء معهم، فهم يدعون ربهم مخلصين طائعين ليلاً ونهاراً، فلا ينبغي صرفهم طاعةً لرؤساء قريش، الذين رفضوا المساواة التي أتى بها الدين الحنيف بين السادة والعبيد!.

---

[40] – انظر: السيرة النبوية، لابن هشام، (26/2).

[41] – انظر: مختصر تفسير البغوي، ص (174).

[42] – انظر: المرجع السابق، ص (171).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

72- قال تعالى: (وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدىً وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ مَرَدّاً) (سورة مريم: 54).

هنا يخبر الله تعالى أنه سيزيد المؤمنين إيماناً، والصحابة أول جيل آمن بالرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، فالآية تنطبق عليهم.

73- قال تعالى: (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (22) مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (21) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيمًا). (سورة الأحزاب: 22-22).

تبين هذه الآيات: أنه في ساعات الشدة التف الأصحاب حول الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، و لم تزدهم الشدة إلا إيماناً، وقد وصفهم الله بالصدق، وأنه سيجزيهم بسبب هذا الصدق خير الجزاء، وأن رحمته ربما تمتد لبعض المنافقين، فقد يتوب عليهم سبحانه وتعالى!.

74- قال تعالى: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (30) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (33) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (32) ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (31) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ (سورة الواقعة: 30-32) إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً (13) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (14) عُرُبًا أَتْرَابًا (15) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ (16) ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (17) وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ). (سورة الواقعة: 13-20).

الثلة: الجماعة[43]، فانظر كيف جعل السابقين ثلة من الأولين، وقليلاً من الآخرين، وهذا دليل على أفضلية جيل الصحابة لكثرة السابقين فيهم، وأما أصحاب اليمين وهم دون القسم الأول؛ فهم كثيرون في الأولين والآخرين!.

75- قال تعالى: (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ، وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (سورة الحشر: 6-7).

---

[43] – الثلة في الأصل: قطعة مجتمعة من الصوف. انظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب، مادة (ثل).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أثنى الله عز وجل على المهاجرين والأنصار، لأن المهاجرين تركوا أموالهم وأهليهم ابتغاء مرضاة الله عز وجل، حتى صاروا فقراء، وراحوا ينصرون الله ورسوله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، والأنصار استقبلوهم بالمودة والحب، وآثروهم على أنفسهم على الرغم مما يعانونه من شظف العيش والفاقة، فيالها من تجربة إنسانية خالدة!، التحم فيها الحب بالإيمان حتى صار المجتمع المؤمن جسداً واحداً.

76- قال تعالى: (وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) (سورة الشورى: 24).

والمعنى: أن الله تعالى يستجيب للمؤمنين ويؤجرهم ويزيدهم من فضله الواسع، وذلك لأن الجزاء من جنس العمل، فلما هجروا المنكرات صغيرها وكبيرها إلا اللمم، وتجملوا بالعفو والمسامحة، واستجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وهي عماد الدين، وتشاوروا فيما بينهم في أمور دينهم ودنياهم، فلا استبداد ولا انفراد بالرأي، وانتصروا للحق، و لم يقبلوا الضيم... لما فعلوا ذلك كله استحقوا هذه المرتبة من الله تعالى، ولذلك جاء ـــ بعد آيات عدة وردت عقب تلك الآية وفي نفس السورة ـــ بيانٌ لسبب استجابة الله لهم، قال تعالى: (وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ، وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ، وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ) (سورة الشورى: 15-17).

77- قال تعالى: (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (353) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (352) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ). (سورة الصافات: 353-351).

جند الله هم الملائكة، وهم عباده المؤمنون أيضاً، أي: الصحابة الذين امتن الله على نبيه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ بتأييده بهم، قال تعالى: (وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ) (سورة الأنفال: 42)، مثلما منَّ عليهم أيضاً ببعثة نبيه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ فيهم، قال تعالى: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) (سورة آل عمران: 342).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يبقى أن نشير أن لله جنوداً كثيرة سوى الملائكة والمؤمنين، قال تعالى: (وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً) (الفتح:5).

ثانيا: مساعدة الله لهم

300- قال تعالى: (ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاساً يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) (سورة آل عمران: 332).

نزلت الآية في موقعة أحد[44]، وهي تثني على الثابتين من المؤمنين، وتصحح مواقف من ضعف منهم، حتى خواطرهم القلبية واعتقاداتهم وظنونهم صححها الله لهم، وهذا من كمال عنايته بهم!، وحسن تربيته وتعاهده لهم!.

وقد جاءت هذه العناية بهم في مواقف كثيرة، ففي معركة بدر قال تعالى: (إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ) (سورة الأنفال: 33). وقال تعالى في شأن الفتح ــ الذي هو فتح خيبر أو صلح الحديبية على الراجح، أو فتح مكة على الأرجح[45] ــ: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً) (سورة الفتح: 2).

وتطهيره ــ سبحانه ــ للصحابة يشبه تطهيره آل البيت، فهم في دائرة الطهر سواء، ولا يمنع ذلك أن يكون بعضهم أشد طهراً من بعض، والعلم في ذلك عند الله تعالى، قال تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) (سورة الأحزاب: 11).

303- قال تعالى: (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (36) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا

---

[44] – انظر: مختصر تفسير البغوي، ص (660)، وتفسير الجلالين، ص (333).

[45] – لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، ص (327).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حَكِيمًا (37) وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (20) وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (23) وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (22) سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (21) وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا). (سورة الفتح: 36-22).

هذه الآيات الكريمات تتحدث عن صلح الحديبية، وما تم فيه من أحداث، حيث التف الأصحاب حول نبيهم ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ يبايعونه على أن يناجزوا قريشاً، ولا يفروا، وتتحدث عن فتح خيبر الذي عجله الله لهم، وأخر عنهم فتح مكة، وبشرهم بفتوح أخرى بعد ذلك، واعداً لهم بالنصر والتمكين في الأرض، وهذه سنته التي لا تتبدل ولا تتغير.[46]

302- قال تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (2) لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا). (سورة الفتح: 2-3).

هاتان الآيتان تتحدثان عن: رعاية الله للمؤمنين، حيث أنزل عليهم السكينة، وزادهم إيماناً، ووعدهم بالخلود في الجنات، والعفو عنهم، ليلحقوا بنبيهم الكريم ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ الذي غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر!.

301- قال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ). (سورة البقرة: 321).

تتحدث هذه الآية عن: وسطية الإسلام، وأن الله حريص على عدم إضاعة المؤمنين بعد إذ هداهم، فهو ينقلهم بالابتلاءات المتوالية من مرتبة أدنى إلى مرتبة أعلى، وهم في صعود دائم، باستثناء المنافقين، أو من ارتد منهم وهم قليل.

---

[46] - انظر: مختصر تفسير البغوي، ص (661-663)، وتفسير الجلالين، ص (331-332).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

302- قال تعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) (سورة آل عمران: 322).

إن موت الرسول محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ ليس نهاية العالم!، فقد وضع المنهج وأدى الرسالة، ومضى إلى ربه راضياً مرضياً كغيره من الرسل عليهم السلام، فلا ينبغي لمؤمن أن يرتد بسبب وفاته ــ صلى الله عليه وسلم ــ، وهذا ما حصل للصحابة فقد صبروا و لم يرتدوا بعد وفاته، ولذلك سيجزيهم الله خير الجزاء، ولو كان هنالك وريثٌ شرعي لمحمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ يجب على الصحابة مبايعته خلفاً للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ لذكرته الآية هنا، ولكن الأمر شورى فيما بينهم، وهذه هي قاعدة الحكم الإسلامي!، وقد أشاد بها شوقي قائلاً:[47]

بك يا ابن عبد الله قامت سمحةٌ
بالحق من حُللِ الهدى غراءُ
بُنيتْ على التوحيدِ وهي حقيقةٌ
نادى بها سقراطُ والقدماءُ
والدينُ يسر والخلافة بيعة
والأمر شورى والحقوق قضاءُ

303- قال تعالى: (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (3) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (4) وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (5) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ). (سورة الأنفال: 5-6).

[47] - ديوان شوقي، توثيق وتبويب أحمد الحوفي(375/3).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تحكي هذه الآيات قصة معركة بدر، وكيف أن بعض المؤمنين كرهوا القتال لأنهم لم يستعدوا له، ومع هذا فقد سماهم مؤمنين، وقبِلَ الشارعُ الحكيم أن يجادلوا رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ، وقد نصرهم ربهم ونصر الحق بهم، وذلك لما لهم من مكانة عظيمة عند الله تعالى!.

كما تبين الآيات منهج الشورى والحرية والحوار الذي كان قائماً بين الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وصحابته الأبرار رضي الله عنهم وأرضاهم.

304- قال تعالى: (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) (سورة النحل: 330)

في هذه الآية الكريمة وعد الله تعالى المهاجرين المجاهدين الصابرين بالمغفرة والرحمة، رضي الله عنهم أجمعين.

305- قال تعالى: (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ). (سورة البقرة: 231).

تبين هذه الآية قصة البشرية منذ عهد آدم عليه السلام[48]، فقد كان الناسُ مؤمنين، ثم انتشر الكفر في بعضهم، فبعث الله النبيين يبشرون من آمن وينذرون من كفر، وأعطى كلاً منهم كتاباً يكون منهجاً لقومه، وبين أن الاختلاف وقع بعد ذلك في شأن الكتاب، وذلك كأنْ يكفروا ببعضه ويؤمنوا ببعضه!، أو يحرفوه!، ولكنه سبحانه هدى المؤمنين منهم إلى الحق والصواب.

وهذه شهادة لمن اهتدى من المؤمنين بأنه على الحق والمنهج القويم إلى يوم الدين، يدخل فيها صالحي الأمم قبلنا، وصحابة نبينا ــ صلى الله عليه وسلم ــ الذين لم يختلفوا في شأن الكتاب، بل توحدوا على جمعه ونشره في البلاد وبين العباد رضي الله عنهم أجمعين.

ثالثاً: تأييد الله تعالى لنبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ بهم

[48] – انظر: مختصر تفسير البغوي، ص (60-63).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

306- قال تعالى: (وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (42) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (41) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (42) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (43) الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ). (سورة الأنفال:). (سورة الأنفال: 42-44).

يلاحظ في هذه الآيات الكريمات أن الله تعالى امتن على نبيه بالنصر وبالمؤمنين، وتأييده بالمؤمنين هو نوع من النصر، فأعظم النصر أن يُذعن الناس لصاحب الدعوة متبعين له بعد أن حاربوه وأخرجوه، ولذلك قرن الله تعالى بين النصر ودخول الناس في الإيمان، قال تعالى: (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً) (سورة النصر: 3-2).

وقد تدخل الله تعالى بأمره وقدرته فألف بين قلوب المؤمنين!، وهم من قبائل شتى، وألوان مختلفة، وبلاد متعددة، فصاروا يداً واحدة، وكانوا عوناً لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعد ربه عز وجل، حتى انتصرت دعوته، ولا أدل على عظمتهم من أن واحدهم كان يجب عليه أن يقابل عشرة من المشركين في معركة بدر ولا يفر[49]، فلما كثر عددهم خفف الله عنهم، إذ جعل الله كل واحد منهم يقابل اثنين رحمة وفضلاً منه سبحانه وتعالى!.

رابعاً: شهادة الله لهم بالإيمان

307- قال تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (52) وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ). (سورة الأنفال: 52-53).

الآية الأولى آية كريمة من جملة آيات كثيرة تحدثت عن إيمان الصحابة وهجرتهم وجهادهم، وأشادت بالأنصار وإيوائهم للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وصحبه من المهاجرين، ونصرتهم

[49] – انظر: مختصر تفسير البغوي، ص (140).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

له وللمهاجرين، ثم أشادت الآية الثانية بالذين لحقوا بالرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ بعد صلح الحديبية[50]، وقد تم نسخ التوارث بين المؤمنين بسبب الإيمان والهجرة[51]، وصار التوارث بسبب القرابة لما كثر أهل الإيمان.

وقد مرت معنا آيات كثيرة تشهد للصحابة بالإيمان، وخاصة بالفقرة الأولى، ولا نريد أن نكررها هنا.

خامساً: ذكر صفتهم في الكتب السابقة

330- قال تعالى: (وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ، وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (سورة الأعراف:333-336).

السياق في هذه الآيات الكريمات يدل على أن موسى كان يدعو ربه ويطلب المغفرة لقومه بعد أن أخذتهم الرجفة، فبين الله تعالى له أن رحمته سيكتبها لمن يتقونه ويؤتون الزكاة ويؤمنون بآياته، وقد تمناها اليهود والنصارى[52]؛ فبين الله تعالى أنها خاصة بأتباع محمد النبي الأمي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، وقد بشرت بهذا النبي الأمي الكتب السابقة، وهو يأمر أتباعه بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث، وهو سيخفف عنهم

---

[50] – انظر: المرجع السابق، ص (141).

[51] – انظر: تفسير الجلالين، ص (364).

[52] – انظر: مختصر تفسير البغوي، ص (126).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأحكام التي كانت كالقيود على من سبقهم، فمن آمن بمحمد ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ ووقره ونصره، واتبع كتابه؛ فهو من أهل الفلاح.

وتدعو الآية الأخيرة الناس جميعاً إلى الإيمان بهذا النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وذلك لأن الإيمان به سبيل الهداية والنجاة.

333- قال تعالى: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً) (سورة الفتح: 27).

تحدثت هذه الآية عن صفة أصحاب محمد رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، فهم أشداء على الكفار، رحماء بينهم، يكثرون من العبادة وبخاصة الصلاة حتى بدا نورها مشرقاً في جبهاتهم، وذكرت الآية أنهم مذكورون في التوراة والإنجيل كجيل مثالي يكون آخر الزمان!، وهم ملتفون حول رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ التفاف فروع النبات حول ساقه الأصلية، ومعنى الشطأ: فروخ الزرع، وهو ما خرج منه وتفرع في شاطئيه، أي جانبيه، وجمعه أشطاء[53]، وهذا الالتفاف يعجب أهل الإيمان ويغيظ أهل الكفر، وقد وعد الله الذين قرنوا الإيمان بالعمل الصالح منهم مغفرة وأجراً عظيماً.

فما أعظم هؤلاء الأصحاب!، الذين ذكرهم رب الأرباب في كتبه السابقة!، وأثنى عليهم!، وهذا من كمال عنايته بهم، رضي الله عنهم وأرضاهم، قال تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ) (سورة محمد: 2).

سادساً: الإشادة بأدبهم مع النبي

[53] – انظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب، مادة (شطا).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

332- قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) (سورة الحجرات: 1).

كان دأب الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ التأدب مع سيد الخلق عليه الصلاة والسلام، حتى مدحهم الله تعالى بسبب ذلك الأدب!، ووعدهم بالمغفرة والأجر العظيم، ولا عجب في ذلك، فقد كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أحبَّ شيء إليهم، ولذلك قال أبو سفيان: "ما رأيت من الناس يحب أحداً، كحب أصحاب محمدٍ محمداً".[54]

سابعاً: فضل الله عليهم

331- قال تعالى: (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ). (سورة آل عمران: 46).

جعل الله تعالى الصحابة مع نبيهم ــ صلى الله عليه وسلم ــ أولى الناس بحيازة شرف الاتباع لإبراهيم عليه السلام والانتساب إليه!، ولا عجب في ذلك، طالما ارتضى الله تعالى أن يكون وليهم في الدنيا والآخرة!، فهو يزكيهم ويرعاهم ويرفعهم بفضله وكرمه سبحانه!.

332- قال تعالى: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ). (سورة آل عمران: 342).

امتن الله تعالى على الصحابة ببعثة رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيهم، وهو من أبناء جلدتهم، فنقلهم به ــ صلى الله عليه وسلم ــ نقلة بعيدة من الشرك إلى التوحيد، ومن التخلف إلى التقدم، ومن الضلال إلى الهدى، فراح يتلو عليهم آيات الله، ويطهرهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة، وينتشلهم من الضلال المبين!، إنها رحلة من التيه إلى الهدى، ومن الحيرة إلى اليقين!.

---

[54] – السيرة النبوية، لابن هشام، (223/1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

333- قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (23) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (22) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (21) تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا). (سورة الأحزاب: 23-22).

هكذا يصلي الله تعالى على المؤمنين!، وصلاته رحمة لهم، وملائكته تفعل ذلك أيضاً، وصلاتها الدعاء لهم ليخرجوا من الظلمات إلى النور، ويستمروا في رحلة الهداية حتى يلقوا ربهم فيحييهم ويحيونه بالسلام!، ويغدق عليهم بالعطاء الجزيل في الجنة!.

و لم يكتف الحق عز وجل بصلاته عليهم وصلاة ملائكته أيضاً، بل أمر نبيه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ أن يصلي عليهم أيضاً، فقال: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (سورة التوبة: 301). فطوبى لمن صلى عليهم ربهم، وملائكته، ونبيه عليه الصلاة والسلام!.

334- قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً) (سورة الأحزاب: 34).

أكرم الله تعالى نبيه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ بصلاته عليه!، كما صلت عليه الملائكة والمؤمنون أيضاً.

وقد شارك الصحابةُ النبيَّ ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ في هذه الفضيلة ـــ وهي صلاة الله عليه ـــ حيث صلى الله تعالى عليهم أيضاً ـــ وإن كان ثمة فرق بين الصلاتين! ـــ وفي هذا رفع لمقامهم العظيم، قال تعالى: (هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ) (سورة الأحزاب: 21).

وقد صلوا على نبيهم ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، وأمره الله تعالى أن يصلي عليهم، فهي علاقة تبادلية!، قال تعالى: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (سورة التوبة: 301).

وشارك الصحابةُ آلَ البيت في تطهير الله لهم كما طهر آل البيت، وقد تقدم ذلك في الحديث عن مساعدة الله لهم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تنبيه:

كل آية في فضل الصحابة تشمل آل البيت، لأنهم جزء من الصحابة، وهذا يفسر قلة الآيات الواردة في موضوع الإشادة بآل البيت وكثرة الآيات التي أشادت بالصحابة، وذلك لأن آل البيت جزء من الصحابة رضي الله عنهم جميعاً.

وكل آية تشيد بآل البيت على وجه الخصوص تشمل الصحابة أيضاً على العموم، وذلك لأن الرسول أبٌ لهم جميعاً، قال تعالى: (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفاً كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً) (سورة الأحزاب: 4). فكون أزواج النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ كالأمهات فهو ــ صلى الله عليه وسلم ــ بمنزلة الأب للمؤمنين جميعاً.[55]

ويدخل في الآية التي تحدثت عن تطهير الله تعالى لآل البيت رضي الله عنهم: أقرباؤه المقربون من أرحامه ــ صلى الله عليه وسلم ــ على وجه الخصوص رضي الله عنهم جميعا، وعليه فلا تقاطع ولا مجافاة بين الأصحاب وآل البيت، بل كلهم أمة واحدة راشدة، دينها واحد، ورسالتها خالدة متجددة، وهم جسد واحد ومجتمع مترابط، وذلك كما بين القرآن الكريم، قال تعالى: (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) (سورة الأنبياء: 72).

ونستنتج مما سبق:

أن الصحابة هم خيار هذه الأمة، وأحب الخلق إلى الله تعالى، وقد رضي عنهم، ورضوا عنه، وساعدهم في الأوقات العصيبة وأمدهم بالملائكة تثبتهم، وهم جنده المؤمنون المخلصون، وقد ذُكرت صفتهم في الكتب السابقة، وأشاد الله تعالى بأدبهم وأخلاقهم، وذكر فضله عليهم رضي الله عنهم جميعاً، ولكنه لم يذكر من سيكون منهم خليفة رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ؛ وذلك لأن أمرهم شورى بينهم كما ذكر سبحانه وتعالى!.

* * *

[55] – انظر: تفسير الكشاف، (321/1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثالث: مجموعة آيات تتحدث عن مواقف محددة لبعض الصحابة رضي الله عنهم

ليس ثمة شيءٍ أدل على عظم منزلة هؤلاء الأصحاب عند الله تعالى من أن يتزل الوحيُ على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بشأن بعضهم أحياناً، إما مادحاً لأحدهم على سلوك فعله، أو مشيداً بفضله، أو تائباً عليه، أو مصوباً عمل امرأة منهم، أو مادحاً من أسلم من أهل الكتاب، أو آمراً رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بمبايعة نسائهم، أو مبرئاً لأحدهم من بهتان، أو مصححاً وموجهاً لبعض شئونهم الأسرية، ومشكلاتهم الزوجية، أو مصوباً عملهم في الجهاد، أو راثياً لشهدائهم رضي الله عنهم وأرضاهم...

مواقف كثيرة جداً نزل فيها القرآن بشأن حوادث تتعلق بأفراد معينين منهم، إضافة إلى مدحهم بالجملة كما رأينا في المبحث السابق، وهذا هو دأب القرآن مع الرعيل الأول، فقد صنعهم الله بعنايته من أجل نشر هذا الدين، وتدخل في شئونهم الفردية والجماعية، والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وقبل ذلك كله في شئونهم العقدية، حيث بنى دينهم على التوحيد الخالص لله تعالى!.

وسوف نختار بعض الآيات المتفق عليها بشأن من نزلت فيهم، من أجل تقديمها كنماذج تدل على عناية الله المجملة والتفصيلية بكل شأن من شئون الأصحاب الكرام، فهو دائماً يُعدُّهم ويقومهم ويسددهم؛ حتى أصبحوا بفضله خير جيل عرفته البشرية عبر تاريخها الطويل!، إنه جيل قرآني فريد لا مثيل له بين الأجيال كلها!.

ومن بعض الآيات المتفق عليها بشأن من نزلت فيهم الآيات الآتية:

335- قال تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ) (سورة البقرة: 205).

نزلت في صهيب الرومي، وقد وهب ماله بمكة إلى بعض المشركين الذين اعترضوا سبيله في الطريق إلى المدينة، وذلك مقابل أن سمحوا له بالهجرة.[56]

[56] – لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، ص (66).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

336- قال تعالى: (وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) (سورة آل عمران: 377).

نزلت في النجاشي، وذلك لما أمر رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أصحابه أن يصلوا عليه صلاة الغائب.[57]

337- قال تعالى: (إِلاّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (سورة التوبة: 20).

نزلت في قصة الهجرة النبوية، وصاحبه الذي كان معه في الغار هو أبو بكر الصديق.[58]

320- قال تعالى: (وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (سورة التوبة: 336).

نزلت في ثلاثة: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، وكانوا قد تخلفوا عن غزوة تبوك من غير شكٍ ولا نفاق، فاعتزل المسلمون كلام هؤلاء الثلاثة، حتى أنزل الله تعالى توبتهم.[59]

323- قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً) (سورة الأحزاب: 30).

---

[57] – المرجع السابق، ص (315).

[58] – انظر: تفسير الجلالين، ص (371).

[59] – انظر: لباب النقول في أسباب النزول، ص (211-212). والسيرة النبوية، (360/2).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نزلت هذه الآية في أم شريك الدوسية، عرضت نفسها على النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وكانت جميلة، فقبلها.[60]

322- قال تعالى: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (سورة الأحقاف: 30).

نزلت هذه الآية في عبد الله بن سلام حين أسلم، وكان من علماء بني إسرائيل وسادتهم.[61]

321- قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (سورة الممتحنة: 32).

نزلت هذه الآية في فتح مكة، وجاءت القرشيات فبايعن رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، وكان فيهن هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان.[62]

322- قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (سورة الممتحنة: 30).

نزلت هذه الآية في نساء مؤمنات، وقد جئن رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ يبايعنه يوم الحديبية.[63]

323- قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (سورة النور: 33).

---

[60] – انظر: لباب النقول في أسباب النزول، ص (137-140).

[61] – انظر: المرجع السابق، ص (174-175).

[62] – انظر: الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية، (332/2).

[63] – لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، ص (223).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نزلت الآية ضمن آيات تضمنت تبرئة عائشة ـــ رضي الله عنها ـــ من حديث الإفك، وكان ممن تداوله: مسطح بن أثاثة وهو بدري، وحسان بن ثابت شاعر الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وغيرهم[64]، وكان الذي تولى كبره منهم هو: عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين في المدينة، وقد تاب الله على الأصحاب، وأما ابن أبي فله عذاب أليم في الآخرة.

324- قال تعالى: (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً) (سورة الأحزاب: 15).

نزلت هذه الآية في زينب بنت جحش وزيد بن حارثة، وقد جاء زيد يشكو زوجه للنبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، فقال النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ: (أمسك عليك أهلك).[65]

325- قال تعالى: (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) (سورة المجادلة: 3).

نزلت هذه الآية في خولة بنت ثعلبة، وزوجها هو أوس بن الصامت، جاءت تشكو لرسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ زوجها الذي ظاهر منها.[66]

326- قال تعالى: (لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (سورة المجادلة: 22).

نزلت هذه الآية في أبي عبيدة بن الجراح[67]، وقد قتل أباه يوم بدر، فلا مجاملة ولا مداهنة في العقيدة، ولو مع أقرب المقربين من الآباء والأبناء والإخوان والعشيرة!.

---

[64] – انظر: مختصر تفسير البغوي، ص (423).

[65] – لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، ص (135).

[66] – المرجع السابق، ص (212).

[67] – المرجع السابق، ص (214).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

327- قال تعالى: (عَبَسَ وَتَوَلَّى (3) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (2) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (1) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (2) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى (3) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (4) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى (5) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (6) وَهُوَ يَخْشَى (7) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (30) كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ). (سورة عبس: 3-33).

نزلت هذه الآيات في عبد الله بن أم مكتوم الأعمى، جاء يسترشد وعند رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ رجل من عظماء المشركين يكلمه، فأعرض عنه رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ.[68]

310- (وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) (سورة آل عمران: 347).

نزلت الآية وما بعدها بشأن شهداء أحد، حيث جعل الله أرواحهم في أجواف طيرٍ خضر ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، وذلك كما أخبر رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ.[69]

ونستنتج مما سبق:

أن القرآن اهتم بالأصحاب، فقد كان يتولى بناء المجتمع المسلم المثالي من خلال هؤلاء الأصحاب الذين تعهادهم ربهم ـــ سبحانه ـــ بتربيته وتشريعاته وتهذيبه وتقويمه لهم، حتى أصبحت الأرض تفاخر بهم أهل السماء!.

أفيعقل بعد هذا كله اهامهم بدينهم وأمانتهم؟!. ثم أيعقل أن تنزل آيات بشأن بعض مشكلاتهم مثل الظهار، ولا تنزل آية صريحة بشأن من يتولى الحكم بعد الرسول لو كان الأمر وصاية؟!، و لم يكن شورى كما وضحت سورة الشورى؟!.

* * *

[68] – المرجع السابق، ص (265).

[69] – المرجع السابق، ص (310).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الثالث

ملابسات الانطلاقة الإسلامية العالمية الأولى

ثمة ملابسات كثيرة رافقت الانطلاقة الإسلامية العالمية الأولى، منها ما هو يعود إلى البيئة المكانية، أو البيئة الزمانية، أو البيئة الاجتماعية، وغير ذلك... سوف نتحدث عن أربع منها:

فنبدأ بالحديث عن مجموعة من الآيات تتحدث عن قريش ومكة، ففي مكة بزغت شمس الإسلام، وفي قريش بُعث محمدٌ رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ، وقد تناولتْ بعضُ الآيات المجتمع المكي، وبعض أفراده، وذكر القرآن كثيراً من مواقف المشركين من أهل مكة، ومعتقداتهم وأحوالهم النفسية والفكرية والعقدية، والاجتماعية والاقتصادية، وغير ذلك... واهتمتْ الآيات المكية ببناء عقيدة التوحيد، وبيان العبادات، وتحصين المؤمنين بالسلوك الحسن، واجتناب المحرمات.

ونتناول بعد ذلك مجموعة من الآيات تتحدث عن أهل المدينة، فقد كانت أول عاصمةٍ إسلامية في تاريخ هذه الأمة، وتم فيها تكوين نواة أول مجتمع إسلامي، يتكون من خليط من المهاجرين والأنصار الذين ينتمون لقبائل متعددة، ويلحق بهم أفراد من الروم والفرس والحبشة وغيرهم، ويتعايش مع هذا المجتمع مجموعات من أهل الكتاب، وعدد من المنافقين...وقد نزلت آيات فيها كثير من التشريعات المتعلقة بالمسائل الدينية والدنيوية، وذلك كي تنظم حياة المسلمين بالمدينة، ولكن ليس من بينها آية واحدة تتحدث عن كيفية انتقال السلطة بعد وفاة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ، أو تحدد الشخص الذي تُنقل إليه تلك السلطة!.

ثم نتحدث بعد ذلك عن مجموعة آيات تتحدث عن أهل الكتاب، فذكرت شيئاً كثيراً من قصصهم وأخبارهم وأحوالهم مع أنبيائهم، وأنكرت على من تلاعب منهم بكلام الله تعالى!، وأثنت آياتُ القرآن على الصادقين من علمائهم الذين شهدوا لله بالوحدانية، وللنبي الخاتم بالرسالة، فالمؤمنون من أهل الكتاب شاهد حيادي بالنسبة لقريش والعرب عموماً، و لم يرد عنهم، أو في كتبهم؛ بأن الخلافة بعد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ هي لأحد بعينه،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قد أوصى له الرسول صلى الله عليه وسلم، لذا فقد بايع المؤمنون من أهل الكتاب الخلفاءَ الأربعة، و لم يرد عنهم أي طعنٍ أو إساءة لكبار الصحابة رضي الله عنهم.

ونختم الفصل بمجموعة من الآيات تتحدث عن انتصار الإسلام والتمكين له في الأرض؛ فهذا الدين هو منهج الله في أرضه، ولا يقبل ديناً سواه، وقد وعد الله بنشره ونصره، وقد تم لله ما أراد، وذلك بواسطة هؤلاء الأصحاب رضي الله عنهم، الذين حملوا دينه عقيدةً وشريعةً ونظام حياة، وبذلوا في سبيله مهجهم وأرواحهم، فكيف يروق للبعض أن يُقر بأن الإسلام قد انتصر، وأن نوره يملأ الآفاق، ثم يغمز ويلمز بمن نصروه وضحوا في سبيله؟. وينسب إليهم ما لا يقبله عقل ولا دين؟.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الأول: مجموعة آيات تتحدث عن قريش ومكة

من مكة بزغت شمس الإسلام!، وفي قريشٍ بعث محمد رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، وفي هذا تكليف للعرب بحمل الرسالة، فإن حملوها بحق كانت لهم فخراً في الدنيا، وعزاً وفوزاً في الآخرة!.

وقد تناولت بعض الآيات القرآنية المجتمع المكي، وبعض أفراده، فمن ذلك:

أولاً: القرآن تشريف وتكليف لقريش والعرب

313- قال تعالى: (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلونَ) (سورة الزخرف: 22).

معنى الذكر: الفخر[70]، أي القرآن هو فخر لك ولقومك من قريش، وسوف تسئلون عن حقه وأداء شكره، ويحتمل أن يكون المراد أنه تذكير لك ولقومك، وتخصيصهم بالذكر لا ينفي من سواهم[71]، فهم المقصودون أولاً بالتبليغ، ثم بقية الأمم والشعوب.

ويلاحظ هنا أن الله تعالى جعل القرآن فخراً لقوم الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ كلهم، وليس لبني هاشم دون سواهم من قريش.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: كيف يكون القرآن فخراً لقريش لو أنهم كفروا به بعد وفاة الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ كما يزعم فريق من المعارضة؟. آنذاك سيكون القرآنُ حجة عليهم لا لهم، ولكن الله عصمهم من الردة، بيد أنه لم يعصمهم كلهم من الفتن، فمنهم الفاضل والمفضول، والسابق والمسبوق، وكلهم إلى خير إن شاء الله تعالى!. قال الشاعر:

صحبُ النبي إلى الرحمن مرجعهم
في صحبة المصطفى والروضِ والخيمِ

312- قال تعالى: (لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (3) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (1) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ). (سورة قريش:3-2).

---

[70] - انظر: مختصر تفسير البغوي، ص (633).

[71] - انظر: مختصر تفسير ابن كثير، (1/270-273).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في سورة قريش يذكر الله نعمه عليهم، فقد حصنهم بالأمن الغذائي حيث أطعمهم بسبب التجارة؛ وذلك على الرغم مما في بلدهم من الفاقة وانعدام الزرع وشح المياه، وحصنهم بالأمن الاجتماعي؛ فأمنهم على الرغم مما يجري لغيرهم في ربوع الجزيرة من الغزو والسلب وانتهاك المحارم، ولكي يكلل نعمه عليهم؛ دعاهم إلى الإيمان بالله وحده، وعبادته دون سواه، لكي ينعموا بالأمن الروحي والحصانة الكاملة من عذاب الله تعالى!، فتكتمل النعم عليهم، وبالشكر تدوم النعم!.

ثانياً: القرآن موجه لمكة وسائر مدن العالم

311- قال تعالى: (وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) (سورة الأنعام: 72).

الكتاب المبارك هو القرآن الكريم، وخص أم القرى بالذكر لشرفها وعظمتها عند الله تعالى!، ولكنه لا يقف إنذاره عند حدودها، بل يبدأ بها، ثم بما جاورها، ليشمل إنذاره بعد ذلك العالم كله، قال تعالى: (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً) (سورة الفرقان: 3).

ثالثاً: الإنذار يبدأ من دائرة العشيرة ثم يتسع

312- قال تعالى: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (232) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (233) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ) (سورة الشعراء: 232-234).

العشيرة في اللغة: أهل الرجل الذين يتكثر بهم، أي يصيرون له بمنزلة العدد الكامل، وذلك أن العشَرة هو العدد الكامل[72]، أمر الله تعالى نبيه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ بإنذار عشيرته أولاً، وهم بنو هاشم وبنو المطلب[73]، وقيل: إنه أنذر قريشاً كلهم، فعم وخص[74]، وأمره بالتواضع

---

[72] – انظر: المفردات في غريب القرآن، مادة (عشر).

[73] – انظر: تفسير الجلالين، ص (154).

[74] – انظر: مختصر تفسير ابن كثير، (1/443-442).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لمن اتبعه من المؤمنين، وهكذا نجد أن دعوته هي للجميع بلا استثناء، ولكن يبدأ بالأقرب فالأقرب.

رابعاً: الموقف من المشركين

313- قال تعالى: (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (331) وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ). (سورة التوبة: 331-332).

نهى الله تعالى نبيه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ والمؤمنين معه عن الاستغفار للمشركين ولو كانوا من أقربائه[75]، وفسر استغفار إبراهيم لأبيه بأنه كان قد وعد أباه بالاستغفار له طمعاً في إيمانه، فلما مات أبوه كافراً تبرأ إبراهيم عليه السلام من أبيه الكافر[76]، فلا مساومة ولا مداهنة في مسألة الكفر والإيمان، وما يترتب عليهما من الولاء والبراء.

314- قال تعالى: (لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ) (سورة يس: 5).

تبين هذه الآية: أنه في المرحلة الأولى للدعوة، وقف جمهور قريش ضد الدعوة، فوعدهم الله بالعذاب!.

315- قال تعالى: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (3) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (2) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (1) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (2) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ). (سورة المسد: 3-3).

أبو لهب هو عم النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، وقد وقف ساخراً ومكذباً للنبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، فلم تنفعه القرابة بعد أن كذب بالدين!.

---

[75] – انظر في سبب نزول هذه الآية: لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، ص (212).

[76] – انظر: تفسير الجلالين، ص (203).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

316- قال تعالى: (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ) (سورة المؤمنون: 73).

هذه إحدى الآيات المكية التي اهتمت ببناء العقيدة وإثبات التوحيد، إذ لو تعددت الآلهة لاقتضى هذا التراع فيما بينها، ويؤدي التراع إلى الصراع ومن ثم فساد الكون!، وحيث إن الكون منسجم مع نفسه، يسير بقوانين وسنن ثابتة؛ فلا آلهة ولا تعدد، وإنما إله واحد، هو الله الواحد القهار!.

خامساً: القرآن المكي يبني العقيدة والأخلاق

317- قال تعالى: (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاق نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ، وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ، وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (سورة الأنعام:333-331).

هذه الآيات الثلاث مكية، وقد اهتمت بتبيان المحرمات العشر التي ينبغي على المسلمين اجتنابها، وأولى هذه المحرمات: الشرك بالله، ثم عقوق الوالدين، وقتل الأولاد، والفواحش الظاهرة والخفية، والقتل، وأكل مال اليتيم، وتطفيف الكيل والميزان، والظلم في الحكومة أو الشهادة، ونقض العهد، وترك الجماعة.

وهذه المحرمات هي سبب فساد الفرد والمجتمع، وهلاك الناس وقيام الحروب، وهي مدمرة للدين والدنيا، ويمكن تصنيفها وفق الآتي:

المجموعة الأولى: آفات ومظاهر سلبية عقدية وفكرية، وفي مقدمتها: الشرك بالله.

المجموعة الثانية: آفات ومظاهر سلبية اجتماعية، ومنها: عقوق الوالدين، وقتل الأولاد، والفواحش الظاهرة والخفية، والقتل

المجموعة الثالثة: آفات ومظاهر سلبية اقتصادية، ومنها: أكل مال اليتيم، وتطفيف الكيل والميزان.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المجموعة الرابعة: آفات ومظاهر سلبية قضائية، ومنها: الظلم في الحكومة أو الشهادة.

المجموعة الخامسة: آفات ومظاهر سلبية سياسية، ومنها: ونقض العهد، وترك الجماعة.

فإذا تطهر المجتمع من هذه الآفات؛ صار مجتمعاً نظيفاً طاهراً متطوراً متنوراً، وهو ما تم لمجتمع الصحابة الذين أخرجهم الله تعالى بكتابه من الظلمات إلى النور، قال تعالى: (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (سورة البقرة: 235).

ولما لهذه الآيات الثلاث من أهمية قصوى، فقد قال عنهن ابن عباس: "في الأنعام آيات محكمات هن أم الكتاب". ثم قرأ هذه الآيات.[77]

والخلاصة:

لقد ذكر الله تعالى في القرآن كثيراً من مواقف المشركين من أهل مكة ومعتقداتهم، وذكر أحوالهم النفسية والفكرية والعقدية والاجتماعية والاقتصادية وغير ذلك... وناقشهم في شبهاتهم حول الدعوة، ودعاهم للإيمان، وتتبع الآيات في هذا الصدد يحتاج بحثاً كبيراً، وقد كُتبت في هذا دراساتٌ مستفيضة، واكتفينا هنا بتقديم مجرد نماذج من الآيات دعت قريشاً للإيمان، وهددتهم وتوعدتهم إذا بقوا على كفرهم، وذكرت الآياتُ أن هذا القرآن فخر لهم في الدنيا والآخرة، وبينتْ أن رابطة الإيمان فوق رابطة الدم، وطلبتْ من الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يبدأ دعوته بالأقرب فالأقرب، وتوعدتْ أقرب المقربين إليه كعمه أبي لهب، وذلك حين كفر هو وزوجته بالنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ.

واهتمتْ الآيات المكية ببناء عقيدة التوحيد، وبيان العبادات، وتحصين المؤمنين بالسلوك الحسن واجتناب المحرمات.

ومن خلال بعض النماذج التي قدمناها نستشرف مكانة قريش عند الله تعالى، فيكفيها فخراً أنْ بعث الله إليها خاتم رسله ــ صلى الله عليه وسلم ــ، وانتدبها لتقود الدعوة الإسلامية إلى هذا

---

[77] – انظر: مختصر تفسير ابن كثير، (410/3).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العالم الحائر، فتخرجه من الظلمات إلى النور، فتعظيمها واجب، لقول الرسول ـــ صـــلى الله عليه وسلم ـــ: (منْ يُردْ هوانَ قريشٍ أهانه الله).[78]

* * *

[78] – رواه الترمذي عن سعد، انظر: مشكاة المصابيح، (3466/1)،. الحديث رقم: (3757).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثاني: مجموعة آيات تتحدث عن أهل المدينة

كانت المدينة المنورة أول عاصمةٍ إسلامية في تاريخ هذه الأمة، استوطنها الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ مع صحبه من المهاجرين، وقام الأنصار باستقبالهم، وتم فيها تكوين نواة أول مجتمع إسلامي، يتكون من خليط من المهاجرين والأنصار الذين ينتمون لقبائل متعددة، ويلحق بهم أفرادٌ من الروم والفرس والحبشة وغيرهم، ويتعايش مع هذا المجتمع مجموعاتٌ من أهل الكتاب، وعددٌ من المنافقين الذين أظهروا الإسلام بلسانهم فقط و لم تؤمن قلوبهم، وهناك بقايا من المشركين الذين لم يدخلوا الإسلام من أول الأمر، ودخلوا به بعد ذلك.

لقد كان مجتمع المدينة يشبه الحكم الفيدرالي، الأكثرية فيه تدين بالإسلام، مع احترام حقوق الأقليات المتواجدة والتي لا تدين بالإسلام، وتحكم بما لديها من كتاب أو نظم قبلية واجتماعية، والرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ هو مرجعية الجميع، وكان بمثابة رئيسٍ لدولة المدينة، وقد نزلت بعض التشريعات في المدينة لتلبي حاجة المجتمع الجديد إلى التنظيم، وتسد الفراغ القانوني.

وقد تحدثت كثير من الآيات عن أهل المدينة، فمن ذلك:

أولاً: الموقف من الأعراب

320- قال تعالى: (الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (75) وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (76) وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (77) وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (300) وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ (303) وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ). (سورة التوبة: 76-302).

تتحدث هذه الآيات عن سلوك كثير من الأعراب (البدو) فهم أشد كفراً ونفاقاً من أهل المدن، وذلك لجفائهم وغلظ طباعهم وبعدهم عن سماع القرآن، ثم تفصل الآيات في شأنهم، فمنهم فرقة ينفقون خوفاً، ويعدون إنفاقهم مغرماً؛ لأنهم لا يرجون ثوابه، ويتمنون الشر للمسلمين، وهم بنو أسد وغطفان.

ومنهم المؤمنون الصادقون الذين ينفقون ابتغاء وجه الله تعالى وتقرباً إليه، وهؤلاء مأجورون عند ربهم، وهم جهينة ومزينة.

ثم يمتدح الله تعالى المهاجرين والأنصار ويذكر ما أعد لهم من الثواب العظيم ولمن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين أيضاً، وهذا المدح يندرج ضمن الآيات التي تقدمت سابقاً تمدح المهاجرين والأنصار سكان أول عاصمة إسلامية في الجزيرة العربية.

ويتحدث ـــ سبحانه ـــ عن بعض الأعراب الذي كانوا حول المدينة وهم منافقون، مثل: أسلم، وأشجع، وغفار، وهنالك أيضاً في داخل المدينة منافقون ملتحمون معهم، ويعد الجميع بالعذاب مرتين: بالفضيحة أو القتل في الدنيا، وعذاب القبر، ثم عذاب الآخرة.

وهنالك فريق أخير جاهدوا من قبل، وتخلفوا عن غزوة تبوك، فعسى الله أن يتوب عليهم، وقد نزلت في أبي لبابة وجماعة أوثقوا أنفسهم في سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين، وحلفوا لا يحلهم إلا النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، فحلهم لما نزلت: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (سورة التوبة: 301).

هكذا رسمت هذه الآيات سلوك الأعراب، فذكرت سلوكهم بشكل عام، فأكثرهم كفار أو منافقون، ثم فصلت بعد ذلك، وبينت أن بعضهم من الصالحين، وتحدثت عن سلوك المهاجرين والأنصار، وسلوك المنافقين من أهل المدينة، وسلوك من ضعف من أهل الإيمان؛ فتخلف عن غزوة تبوك، ثم تاب الله عليه بعد ذلك.[79]

[79] – انظر تفسيرها في: تفسير الجلالين، ص (200-203).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

323- قال تعالى: (مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَأُونَ مَوْطِئاً يُغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) (سورة التوبة: 320).

في هذه الآية يبين الله تعالى أن أهل المدينة والأعراب المؤمنين الذين حولهم لا يجوز لهم أن يتخلفوا عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ إذا غزا، ولا يصونوا أنفسهم عما رضيه لنفسه من الشدائد[80]، وذلك لأن كل ما يصيبهم من أذى وعنت في الجهاد سيكتب لهم في صحائفهم، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

ثانياً: الموقف من المنافقين

322- قال تعالى: (وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراً) (سورة الأحزاب: 31).

تتحدث الآية عن سلوك بعض المنافقين، وكانوا قد خرجوا مع الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلى جبل سلع خارج المدينة للقتال، ثم بدأوا ينسحبون بالأعذار الملفقة.[81]

321- قال تعالى: (لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً) (سورة الأحزاب: 40).

في هذه الآية تهديد ووعيد للمنافقين، ولمن يستمع إليهم بأن يسلط الله عليهم رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيخرجهم من المدينة، ويحل بهم أشد العقاب!.

322- قال تعالى: (يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ) (سورة المنافقون: 6).

كان ذلك عقب غزوة بني المصطلق[82]، حيث قرر المنافقون طرد المؤمنين من المدينة، ولكن الله أعز المؤمنين وخيب المنافقين.

---

[80] – انظر تفسيرها في: المرجع السابق، ص (204).

[81] – انظر تفسيرها في: تفسير الجلالين، ص (237).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثالثاً: بعض أحداث المدينة

323- قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً) (سورة الأحزاب: 7).

هذه الآية واحدة من مجموعة من الآيات التي تحدثت عن غزوة الأحزاب، حيث حاصر زهاء عشرة آلاف مقاتل المسلمين في المدينة[83]، ولكن الحصار لم يفلح في اقتلاع جذور الدعوة، فرد الله المشركين بريحٍ أرسلها، و لم ينالوا خيراً.

324- قال تعالى: (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ) (سورة الحشر: 2).

تتحدث هذه الآية عن إخراج بني النضير من المدينة[84]، فقد قهرهم الله تعالى وأخرجهم برغم ما لديهم من سلاحٍ وعتاد وحصون منيعة، حيث تخلى عنهم حلفاؤهم، وانهارت قواهم النفسية، فاستسلموا ورحلوا إلى الشام، ومنهم من رحل إلى خيبر.

رابعاً: بعض التشريعات في المدينة

325- قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (سورة المائدة: 4).

---

[82] – انظر تفسيرها في: المرجع السابق، ص (333).

[83] – انظر: السيرة النبوية، (1/236-244).

[84] – انظر: تفسير الجلالين، ص (323). والسيرة النبوية، (1/220).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هذه إحدى الآيات المتعلقة برأس العبادات وهي الصلاة، حيث لا بد قبل الصلاة من الطهارة التامة، والبدء بعد ذلك بالوضوء، بل لقد ذكرت هذه الآية أهم نواقض الوضوء والغسل أيضاً، وهذا يعني أن القرآن ذكر كل شيءٍ وبينه سواء كان من أمور الدين أو الدنيا، على الإجمال أو التفصيل، كبيراً كان الأمر أو صغيراً، كما قال تعالى: (وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) (سورة النحل: 67).

ولكن القرآن لم يذكر شيئاً عن مسألة الوصاية، أو انتقال السلطة بعد الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ غير آية الشورى في سورة الشورى، ولو كانت القضية وراثية في آل بيته ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ لحسمها القرآن، و لم يترك بعض المسلمين يتنازعون في هذا الأمر إلى قيام الساعة!.

326- قال تعالى: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً) (سورة النساء: 33).

هذه إحدى الآيات التي نظمت انتقال الثروة من الميت إلى أقربائه، وقد اقتضاها تطور الحياة في المجتمع المدني، وقيام نظام الأسرة في الإسلام، فهل يُعقل أن تأتي مجموعة آيات تنظم انتقال الأموال، ولا تأتي آية واحدة تنظم انتقال السلطة من الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ إلى وصيه لو كان هنالك وصي؟. أم أن الأمر شورى، والشورى لا تقتضي تنظيم انتقال السلطة بأمر إلهي، وإنما باتفاق الناس فيما بينهم؟!.

327- قال تعالى: (وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (سورة النور: 13).

هذه إحدى الآيات التي تنظم علاقة المرأة بأسرتها ومجتمعها، وتأمرها بحفظ نفسها وإخفاء زينتها عن غير أرحامها أو من يلوذ بها مما ملكت يمينها، أو الأطفال الصغار، وغير ذلك... وقد اقتضى نشوء المجتمع الإسلامي في المدينة وجود مثل هذه الآيات المنظمة للعلاقات الاجتماعية داخل الأسرة والمجتمع.

330- قال تعالى: (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (سورة المائدة: 16).

نزلت هذه الآية في شأن امرأة سرقت في عهد النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ [85]، ثم سألت هل لي من توبة، فأنزل الله تعالى: (فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (سورة المائدة: 17). وهذه الآية تدل على أنه قد أصبح هنالك ضرورة لوجود التشريع الجنائي الإسلامي!.

333- قال تعالى: (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) (سورة النور: 2).

هذه الآية تبين حكم عقوبة الزنا لغير المحصن، وفي ظل وجود دولة المدينة لا بد من تشريعات رادعة لحماية أعراض الناس وممتلكاتهم، ومن جملة هذه التشريعات عقوبة الزنا الذي ابتليت به البشرية من أقدم العصور، وقد ينتشر في المدن حيث تكون الكثافة السكانية أكثر منها في القرى والأرياف.

[85] - انظر في سبب نزول هذه الآية: لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، ص (360).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والخلاصة:

أن المدينة كانت عقرَ الإسلام وبيضته، وفيها تكونت نواة أول دولة إسلامية، وقد تحدث القرآن عن أهلها الصالحين من الأنصار الذين استضافوا إخوانهم المهاجرين، كما تحدث عن أهل الكتاب، والمنافقين، والأعراب. وذكر أهم الغزوات، وبعض الأحداث والمشكلات التي واجهت مجتمع المسلمين في المدينة. ونزلت آيات فيها كثير من التشريعات المتعلقة بالمسائل الدينية والدنيوية كي تنظم حياة المسلمين بالمدينة، ولكن ليس من بينها آيةٌ واحدةٌ تتحدث عن كيفية انتقال السلطة بعد وفاة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ، أو تحدد الشخص الذي تُنقل إليه تلك السلطة، وهذا مما يعزز تصور الإسلام للحكم على أنه شورى، وليس ولاية أو وصاية، يتلقاها أحد الأصحاب المقربين من رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ؛ ليتولى بعدها الحكم في رقاب الأمة إلى يوم الدين هو وذريته الأبرار!، فليس في الإسلام أحد أفضل من آخر إلا بالتقوى!، وليس هنالك عرق صافٍ مفضل يدين له البشر بالطاعة الولاء إلى يوم الدين، وإنما أمر الحكم والخلافة شورى بين المسلمين، والملكُ في الأول والآخر لله يضعه حيث يشاء!، قال تعالى: (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (سورة آل عمران: 24).

ويؤكد ما ذكرناه؛ أنه لما عرض رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ نفسه على بعض العرب، طلب بيحرة بن فراس ــ وهو رجل من بني عامر بن صعصعة ــ أن يكونَ لهم الأمر من بعده إذا نصروه، قال لهم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ: (الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء). فقال له الرجل: أفنهدف نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا! لا حاجة لنا بأمرك، فأبوا عليه.[86]

يلاحظ أن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ترك الأمر لله تعالى!، و لم يقل هو خاص بأحد من آل بيتي، يتولى من بعدي أموركم!.

ولو كان الملك لأسرةٍ واحدة إلى يوم الدين، لما كان هنالك ضرورة لأن يؤتي الله الملكَ أحداً من عباده أو ينزعه منه!، لأنه لا تداول للسلطة، وإنما وصاية وكفى!، ولما كان التداول قائما

[86] – السيرة النبوية، لابن هشام، (352/2).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بحكم الواقع وتجربة التاريخ، وهو من سنن الله في عباده، علمنا بالضرورة أن أمر الخلافة شورى، ولا شيء يعدلها في نظام الحكم الإسلامي، فلا وصاية، ولا توريث لأحد، وإنما شورى فقط، وذلك يدل على أن إرادة الأمة فوق الجميع!، وقد أرادها الله تعالى أمة من الأحرار تنتخب وتختار، وليست أمة مغلوبة على أمرها، منقادة بالسلاسل كأمة من عبيد!.

* * *

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثالث: مجموعة آيات تتحدث عن أهل الكتاب

تحدثت آيات القرآن كثيراً عن أهل الكتاب، فذكرت شيئاً كثيراً من قصصهم وأخبارهم وأحوالهم مع أنبيائهم، وأنكرت على من تلاعب منهم بكلام الله تعالى!، أو قام بتحريفه في سبيل مصالح دنيوية عاجلة!، وتحدثت عن رغبة كثير منهم في ردة المسلمين، وأثنت على الصادقين من علمائهم الذين شهدوا لله بالوحدانية، وللنبي الخاتم ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ بالرسالة.

وسنلمس بعضاً من هذا من خلال هذا المبحث.

أولا: التلاعب بكلام الله وتحريفه

332- قال تعالى: (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ). (سورة البقرة: 57).

بين الله تعالى أن من شأن بعض أهل الكتاب التلاعب بكتبهم، والتزوير والتلبيس على الناس، وذلك ابتغاء منافع مادية اقتصادية لا غير، ولكنه سبحانه قد حفظ آخر كتبه من كل أنواع التحريف والتدليس، قال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (7)(سورة الحجر:7).

فمن شك بالقرآن فقد أعظم الفرية على الله، وذلك لأن الله تعالى حفظ القرآن بنفسه، و لم يعهد بهذا إلى غيره، فقد هيأ لشرف حفظه أفضل مخلوقاته بعد نبيه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ ألا وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، حيث حفظ الصديق الدين بمصدره العلمي وهو الكتاب الذي بين دفتي المصحف، وحفظه بشكله الحي الواقعي الحضاري متمثلا بدولة الإسلام التي حماها بحربه للمرتدين، أي حمى العقيدة والفكرة النظرية، وحمى الدولة الواقعية!.

ثانياً: الرغبة في ردة المسلمين

331- قال تعالى:(وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ). (سورة البقرة: 307).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تبين هذه الآية أن كثيراً من أهل الكتاب لا يضمرون الخير للمؤمنين، بل لقد امتلأت قلوبهم غيظاً وحسداً للمؤمنين، بعدما عرفوا من الكتب السابقة نعت محمدٍ وأمته[87]، وحتى لا يُستجر المؤمنون إلى حروب جانبية؛ أمرهم الله تعالى بالعفو والصفح عن هؤلاء حتى يحكم فيهم بأمره متى شاء!.

ثالثاً: الثناء على الصادقين من أهل الكتاب

332- قال تعالى: (وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ). (سورة آل عمران: 377).

بعض أهل الكتاب مؤمنون صادقون، ومنهم النجاشي ملك الحبشة الذي أمر رسولُ الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالصلاة عليه لما مات، ونزلت فيه هذه الآية تشهد له بالإيمان، وقد سبق ذكر ذلك.

333- قال تعالى: (قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (305) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (306) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا) (سورة الإسراء: 305-307).

تبين الآيات الكريمات: أن أهل مكة سواء آمنوا أم لم يؤمنوا لا يؤثر ذلك في حقيقة القرآن، وأنه من عند الله تعالى، إذ يكفي في ذلك شهادة المنصفين العارفين من أهل الكتاب، حيث آمنوا به، وسجدوا لله عند سماعه، وفاضت عبراتهم خاشعين لله تعالى!.

334- قال تعالى: (فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) (سورة يونس: 72).

تبين هذه الآية أنه لو كان هنالك ثمة شك افتراضي من قبل الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بما أوحي إليه من قصصٍ، فعليه أن يسأل الذين أوتوا الكتاب من قبله، لأنهم سيؤكدون صدق

[87] – انظر: تفسير الجلالين، ص (35).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ما أُوحي إليه... وهذا كله من باب الافتراض، وفيه تعريض بالمكذبين المنكرين، بأن أمامهم مرجعية علمية هي مرجعية أهل الكتاب، يمكنهم العودة إليها للتأكد من صدق ما جاء به الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ. ولذلك ثبت الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ على الحق، وقال: (لا أشك ولا أسأل)[88]، وأعلنها صرخة مدوية بأنه ماض في طريقه الذي اختاره الله تعالى له، لا يهادن، ولا ينثني، لأنه طريق الحق المطلق، وليس ثمة طريق موصل إلى الله تعالى سواه، قال تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) (سورة يونس: 302).

335- قال تعالى: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (سورة الأحقاف: 30).

نزلت هذه الآية في عبد الله بن سلام حين أسلم، وكان من علماء بني إسرائيل وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك، وفي هذه الآية تقريع للمشركين الذين كذبوا الرسولَ ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو ابن جلدتهم ونتاج بيئتهم، و لم يجربوا عليه كذباً قط، في حين سبقهم إلى الإيمان به بعضُ أهل الكتاب.

336- قال تعالى: (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) (سورة الرعد: 21)

أمر الله تعالى نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يُشهد الله تعالى على صدقه، وكذلك المؤمنين من أهل الكتاب، وفي هذا تشريف لهم أيما تشريف!، وذلك حين تُقرن شهادتهم بشهادة الله رب العالمين!.

[88] – انظر: المرجع السابق، ص (237).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والخلاصة:

أن آيات القرآن تحدثت كثيراً عن أهل الكتاب، وأشادت بإيجابياتهم، وأنكرت مالديهم من سلبيات في السلوك والمعتقد، وأثنت على الصادقين من علمائهم الذين شهدوا لله بالوحدانية، وللنبي الخاتم بالرسالة، فالمؤمنون من أهل الكتاب شاهد حيادي بالنسبة لقريش والعرب عموماً، ولم يرد عنهم، أو في كتبهم؛ بأن الخلافة بعد رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ هي لأحد بعينه، قد أوصى له الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، وقد بايع هؤلاء الخلفاء الأربعة، ولم يرد عنهم أي طعن أو إساءة لكبار الصحابة رضي الله عنهم، فإذا كان الله تعالى قد قبل شهادتهم لنبيه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، أفلا نقبل شهادتهم في كبار الصحابة وقد بايعوهم على السمع والطاعة؟! وكانوا لهم جنداً طائعين، وأعواناً مخلصين؟.

* * *

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الرابع: مجموعة آيات تتحدث عن انتصار الإسلام والتمكين له في الأرض

جاء الإسلام غريباً في بيئة وثنية، فحاربه المشركون بكل وسيلة، وعملوا لصده بكل أسلوب، وسلكوا مع الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وصحابته الكرام أساليب التهديد والترهيب، والوعد والوعيد، والتعذيب والقتل، والنفي والتهجير... ولكن المؤمنين ثبتوا، حتى نصرهم الله تعالى بعد صبرهم وجهادهم، ففتحوا مكة التي كانت معقل الشرك والمشركين!، وفتحوا من ورائها معظم أصقاع العالم!، وتحقق وعد الله تعالى لهم بالنصر والتمكين، قال تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (سورة النور: 33).

وفي هذا المبحث نتعقب بعض الآيات التي بشرت بانتصار هذا الدين.

337- قال تعالى: (يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (12) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ). (سورة التوبة: 12-11).

إن القرآن نور، والهدى نور، والنور لا يحاصر، فهو نور الله تعالى الذي سيتمه، فيعم الآفاق، ويهتدي به الناس، رغم الكافرين، وأساليبهم الخسيسة في تعمية العيون وطمس الحقائق!.

وقد تكرر وعد الله تعالى بإتمام نوره، قال تعالى: (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (سورة الصف: 6). وها هو الإسلام اليوم يملأ نوره أرجاء العالم، والمسلمون منتشرون في كل مكان، والعالم يتخبط في ظلمة وضياع، وليس ثمة ملجأ لسفينة البشرية ــ التي تبحر في أمواج متلاطمة من الفكر الأهواء ــ إلا بهذا الدين!، وأن تحتكم إليه منهجاً ومرجعاً ودستورَ حياةٍ يهدي للتي هي أقوم.

340- قال تعالى: (وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) (سورة الحشر:7-30).

هذه شهادة ربانية بأن جيل المهاجرين والأنصار سيعقبه جيل مؤمن، يثني على الجيل الأول، ويعرف فضله، ويدعو له بالرحمة، ويطهر نفسه من الغل تجاه أي واحد منهم، وقد تم هذا؛ فكان جيل التابعين خير جيل يعقب جيل الصحابة، ثم الذين يلونهم قرناً فقرناً.

343- قال تعالى: (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (3) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (2) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا). (سورة النصر: 3-1).

لقد بشر الله تعالى رسوله محمداً ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ بالنصر وفتح مكة، ودخول الناس وهم أهل مكة وقبائل العرب في دين الله أفواجاً، وقد شهد الله تعالى لهم بالإيمان، فهل يُعقل أن يرتدوا بعد وفاة النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، ويغيروا في الدين، وقد أكمل الله لهم دينهم؟!. وما قيمة هذه البشرى التي قدمها الله تعالى لنبيه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ إذا كان سيعقبها ردة سوداء من جماهير الصحابة كما يدعي البعض؟. وهل يُعقل أن يرتدوا وينشروا الإسلام في الوقت ذاته؟!. وكيف نفسر انتشار الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها بسيوف مرتدين عن دينهم؟!. أم أن هذا الذي نشروه ليس هو الإسلام؟، فأين وعد الله إذاً بأن ينصر دينه ويتم نوره ولو كره الكافرون؟.

إن انتقاص الصحابة في دينهم أمر لا يقبله الدين أو العقل السليم، ولا يسوغه المنطق أبداً.

342- قال تعالى: (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ) (سورة الحشر: 2).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تتحدث هذه الآية عن إخراج بني النضير من المدينة، وقد تقدم ذكرها، وكان هذا الإخـــراج مقدمة لانتصارات كثيرة جاءت بعد ذلك، فقد كانت شمس الإسلام تزداد تألقاً وإشراقاً يوماً بعد يوم.

341- قال تعالى: (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً) (سورة الفرقان: 3).

الإسلام رسالة عالمية من أول يومٍ جاء فيه، ابتدأ بالعرب، وانتهى لينذر الناس جميعاً، ويبشـــر المؤمنين منهم، وهو رسالة باقية على مدى الدهر، بدأت بأحياء عصر الرسالة، قـــال تعـــالى: (لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيّاً وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ) (سورة يس: 50)، وستبقى الرسالةُ مستمرة إلى يوم الدين، فلا يقبل الله تعالى من الناس ديناً غير الإسلام، قال تعالى: (وَمَنْ يَبْتَـــغِ غَيْـــرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (سورة آل عمران: 63).

والإسلام دين رحمة وخير للناس والبيئة بكل ما فيها من متحرك وجامد، قال تعـــالى: (وَمَـــا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) (سورة الأنبياء: 305).

والخلاصة:

أن هذا الدين هو منهج الله في أرضه، ولا يقبل ديناً سواه، وقد وعد الله بنشره ونصره، وقد تم لله ما أراد، وذلك بواسطة هؤلاء الأصحاب رضي الله عنهم، الذين حملوا دينه عقيدةً وشريعةً ونظام حياة، وبذلوا في سبيله مهجهم وأرواحهم، وذادوا عنه بـــالفكر والبيـــان، والســـيف والسنان، قال تعالى: (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) (سورة التوبة: 32).

فكيف يطيبُ لبعضهم أن يقر بأن الإسلام قد انتصر، وأن نوره يملأ الآفاق، ثم يطعـــن بمـــن نصروه وضحوا في سبيله؟. وينسب إليهم ما لا يقبله عقل ولا دين؟.

وهل يُعقل أن يوصي الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ بالخلافة لأحد، فيتم التواطؤ ضده، وتكون الخلافة لغيره؟! ونحن نعلم علماً يقينياً بأن الصحابة هم أحرص الناس على الاتبـــاع لا الابتداع، وقد زكاهم ربهم في القرآن الكريم، وكانوا من الشجاعة بحيث لا يأبهون بـــالموت، فضلاً عن أن يخافوا من سلطان أحدٍ غير خالقهم عز وجل؟!.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثم هل كان كبار الصحابة طلاب دنيا؟!. وهل من يهاجر ويتعرض للموت ألف مرة في سبيل دعوته ودينه حريص على السلطة والملك؟!. لقد مات بعضهم مَديناً كعمر رضي الله عنه، و لم يجعلوا الخلافة في أبنائهم، وذلك لأن الدنيا في تصوراتهم أحقر أن تُطلب وتُخطب، وهم الذين قرأوا قول ربهم عز وجل: (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) (سورة القصص: 61). فعملوا بما أراد الله تعالى، وصدقت أفعالهم أقوالهم، كما صدقت أقوالهم قلوبهم رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم جميعاً.

* * *

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الرابع
تأملات في نظام الحكم الإسلامي والشورى والوصاية

نتناول في هذا الفصل مجموعة من الآيات تتحدث عن نظام الحكم والسياسة الشرعية، ونتتبع من خلالها التصور الإسلامي لنظام الحكم والسياسة الشرعية، فهو ينطلق من أن الله هو الذي يشرع لعباده أمور دينهم ودنياهم، والملك لله يضعه حيث يشاء، والعدل أساس الملك، ويتجه التصور الإسلامي إلى وجوب طاعة الحاكم في غير معصية، ويحدد مرجعية أولي الأمر، وهم العلماء والحكام.

ونتتحدث بعد ذلك عن السلم الاجتماعي وهو من واجبات السلطة، فالمجتمع الإسلامي مجتمع متآخٍ متآلف متواد متحاب، وقد نهت الآيات الكريمة عن كل الظواهر السلبية التي تفكك وحدة الأمة وتمزقها.

ونتناول أهمية الحكم بشريعة السماء، لأن الإسلام دين ودولة، شأنه في ذلك شأن الشرائع السماوية السابقة، وهذا معنى صلاحية الشريعة لكل عصر ومصر، وينطلق الحكم الإسلامي من قاعدة الشورى، وهذا ينسجم مع نظرة الإسلام للناس على أنهم أسرة واحدة، متساوون فيما بينهم، فلا تفضيل لأحد على آخر إلا بعمله لا بنسبه، وهذا يدل دلالة قاطعة على أنه لا وصاية لأحد بعينه بعد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولا توريث كذلك.

ونختم الحديث عن سنن الله في الحياة والتغيير، لنثبت من ذلك كله: أن الملك لله تعالى، وأن بقاء الحال من المحال، وما دامت الأيام دولاً، فقد نفى الله الملك عن آل بيت نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ، فهم ملوك القلوب والأرواح، إن كان غيرهم قد ملك الأجسام والأشباح!.

بعد ذلك نتناول أهم مباحث هذا الكتاب، وهو الإجابة عن هذا السؤال: هل أوصى الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالخلافة لأحد من بعده؟. فندرس دور الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ في النظام الإسلامي، فهو نبي عبد وليس نبياً ملكاً، لذلك هو لا يورث من جهة النبوة، ولا من جهة الولاية، والدعوة إلى الله تعالى مجانية بلا مقابل دنيوي، وهذا منهج الأنبياء والمرسلين جميعاً، وننبه إلى أن آية الشورى وآية المودة في القربى كلتاهما في سورة الشورى، والأمر شورى، ولا معنى للشورى مع وجود من سيملأ الفراغ القيادي عند وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

و نذكر بعد ذلك بعض القرائن قرآنية التي تمنع من الغلو، فالرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، يُبلغ عن ربه عز وجل، وهو لا يعلم الغيب مطلقاً، فلا ينبغي الغلو بشخصه الكريم، ولا بآل بيته الأطهار، ولا صحابته الأبرار، مما قد ينحرف عن مقاصد الشريعة الإسلامية أساساً.

ونبين أن القرآن الكريم لم يشر إلى خلافة الرسول صلى الله عليه وسلم، ونناقش فكرة من يستحق المُلْك في الدنيا؟ ونوضح العلاقة بين النبوة والرسالة والإمامة.

وندرس بعض الأحاديث التي تثير شبهة الوصاية، ونتناول تأويل ما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم، وأن الاختلاف قدر مكتوب عليهم؛ مما يبدد فكرة الوصاية!.

وسوف نختم بالحديث عن أن الخلفاء جميعاً على صلة قرابة بالرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، فهم غرر الدهر وأعيان البشر.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الأول: مجموعة آيات تتحدث عن نظام الحكم والسياسة الشرعية

هذا المبحث أهم مباحث هذه الدراسة، نتتبع فيه التصور الإسلامي لنظام الحكم والسياسة الشرعية، فنجده ينطلق من أن الملك لله يضعه حيث يشاء، وأن العدل أساس الملك، وهو يتجه إلى وجوب طاعة الحاكم في غير معصية، ويحدد مرجعية أولي الأمر.

ونتحدث بعد ذلك عن السلم الاجتماعي وهو من واجبات السلطة، وأهمية الحكم بشريعة السماء، لأن الإسلام دين ودولة، وانطلاق الحكم الإسلامي من قاعدة الشورى، وأن الناس سواسية أمام ميزان الله تعالى.

ثم نختم الحديث عن سنن الله تعالى في الحياة والتغيير، لنثبت من ذلك كله أن الملك لله تعالى، وأن بقاء الحال من المحال، ولذلك أبعد الله تعالى الملك عن آل بيت نبيه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، فأن يكونوا حياداً يحترمهم الناس جميعاً، أو في المعارضة يأمرون السلطة بالمعروف وينهونها عن المنكر، فذلك خير لهم من أن يكونوا في الحكم الذي يتنازع الناس عليه.

وهذا ما سنبينه من خلال الأدلة في هذا المبحث.

أولاً: الملك لله يضعه حيث يشاء

342- قال تعالى: (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ). (سورة آل عمران: 24-25).

تبين الآية الكريمة أن الله تعالى هو وحده الذي يقلب أحوال الإنسانية بين إعطاء ملك ونزع له، وبين عز وذل، ومن يفعل هذا هو الذي يفعل التقلبات الكونية بين الأضداد من تعاقب الليل والنهار، والحياة والموت، والرزق والفقر سبحانه وتعالى!، ولو كان الملك محصوراً بأسرة أو مجموعة من الناس لما قال سبحانه: (تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثانياً: العدل أساس الملك

343- قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (36) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا). (سورة النساء: 36-37).

يلاحظ أن الله تعالى حين أمر برد الأمانات إلى أهلها، والحكم بالعدل، مهد بهذا إلى فرض طاعته، وطاعة رسوله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، وطاعة أولي الأمر من المسلمين، إذ المجتمع العادل يقتضي من مواطنيه احترام القانون والنظام العام، وهذه نظرة اجتماعية إدارية حضارية غاية في التقدم على عصرها، وعند التنازع في أمر مع أولي الأمر يكون الاحتكام إلى الدستور الدائم: (الكتاب والسنة) لمعرفة الصواب، فلا خروج ولا حرابة، ولا نزاع ولا شقاق.

ومما يؤكد أهمية العدل في حياة الأمة كثرة ذكره في القرآن الكريم، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (سورة النحل: 70). فالعدل والإحسان والتواصل الاجتماعي، كلها أمور تعزز وحدة المسلمين وتآلفهم فيما بينهم، بخلاف الفحشاء والمنكر والبغي فهي أمور تفتت عضد الأمة، وتذهب بوحدتها أدراج الرياح.

والعدل له ثلاث صور:

الأولى: أن تطبق القانون على الجميع بلا تمييز أو استثناء، كما في الدول الأوربية، وهذا عدل نسبي.

الثانية: أن تطبق القانون على الجميع بلا تمييز أو استثناء، وأي يكون هذا القانون مستمداً من شريعة السماء، كما في حكم الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ والخلفاء الراشدين من بعده، وهذا عدل كامل.

الثالثة: أن تقيم حكم الله على الجميع بلا استثناء، مع مراعاة كافة الظروف والملابسات الظاهرة والخفية في كل أمر، واطلاع كامل على أحوال المحكوم عليه في كل أمر، وأن يوزن ما له من خير وما اكتسبه من شر بميزان الذرة، وهذا عدل خاص بالله رب العالمين يوم القيامة، وهو عدل مطلق.

ثالثاً: طاعة الحاكم في غير معصية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

344- قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا (42) فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا). (سورة النساء: 42-43).

أوجب الله تعالى طاعة رسوله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ على المسلمين جميعاً، وتحكيمه في شئونهم كلها، والرضا بما يحكم به، وجعل هذا الرضا قاعدة لكمال الإيمان.

345- قال تعالى: (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا). (سورة النساء: 333).

نهى الله تعالى عن الشقاق والاختلاف، والردة واتباع منهج غير منهج المؤمنين، وبين أن ذلك سبيل الهلاك في الدنيا والآخرة، وأنه سبحانه يمهل من يفعل ذلك ولا يهمله!.

وعليه فطاعة الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ واجبة، وطاعته بعد وفاته تكون باتباع سنته ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، وكذلك طاعة ولي الأمر من بعده واجبة أيضاً، والطاعة تكون في المعروف، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق!.

رابعاً: مرجعية أولي الأمر

346- قال تعالى: (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا). (سورة النساء: 61).

يجب على المسلمين طاعة أولي الأمر منهم، وهم العلماء والحكام[89]، وعدم إذاعة الأخبار وإفشاء الأسرار التي قد تضر بأمن الأمة وسلامة نظامها الاجتماعي إلا بعد مراجعة أولي الأمر، أو مستشاريهم المكلفين بمتابعة مثل هذه الأمور، وفي هذه الحالة إذا علموا بالأمر وبحثوا ورأوا نشر الخبر يُسمح بعد ذلك بنشره، وعليه فولاة الأمر هم مرجعية فكرية وواقعية للمجتمع المسلم.

---

[89] - انظر: مختصر تفسير ابن كثير، (206/3).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خامسا: السلم الاجتماعي من واجبات السلطة

347- قال تعالى: (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ، إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (سورة الحجرات:7-30).

تحدد الآيتان صفة المجتمع الإسلامي، فهو مجتمع متآخي متآلف متواد متحاب، وفي حالة نشوب نزاع بين مجموعتين من أفراده، فينبغي دعوة المجموعتين للصلح، وإذا عاندت إحداهما وبغت على أختها؛ وجب مقاتلتها من قبل جميع المسلمين حتى تذعن للحق وتعود إليه.

350- قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (سورة الحجرات: 31).

هذه الآية نداء عالمي للإنسانية، تعلن المساواة والتآخي بين الجميع، فهم من أسرة واحدة، والتنوع هدفه التعارف والتبادل في المصالح والمعرفة الإنسانية، وليس الصراع والقتال بين الناس، ثم تبين أن أفضل الناس عند مليكهم أتقاهم له، فلا تفضيل بسبب نسبٍ أو مال أو سلطة أو جاه، أو غير ذلك مما يهتم به الناس في قيمهم الأرضية التي تقتصر على ما هو حسي ومحدود ومرحلي، ولا تعانق شموخ السماء وعظمة قيمها الربانية الخالدة!.

353- قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ) (سورة الحجرات:33-32).

هاتان الآيتان تنهيان عن كل الظواهر السلبية التي تفكك وحدة الأمة وتمزقها، من ذلك السخرية من الآخر، واللمز[90]، والتنابز[91] بالألقاب، والظن، والتجسس، والغيبة التي تشبه أكل

[90] - اللمز: الاغتياب وتتبع المَعاب. المفردات في غريب القرآن، مادة (لمز).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لحم الآخرين وهم موتى!، وهي صورة مقززة لذلك العمل العدواني الوحشي... وكل ما سبق أمور تتناقض مع التقوى، وقد حرص القرآن الكريم على تصفية المجتمع المسلم منها، وتنقيته من آثامها، فإذا لم يمكن التخلص منها نهائياً، فعلى الأقل الحد من آثارها، وهو ما نجح فيه القرآن الكريم نجاحاً باهراً.

سادساً: الحكم بشريعة السماء (الإسلام دين ودولة)

من مقتضيات الدين الرباني أن يرتب حياة الناس من كافة جوانبها: الروحية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، حتى يكون هنالك انسجام في التشريع، ولا يقع الناس في فصامٍ نكدٍ بين دينهم الذي يأمرهم بشيء، وواقعهم الذي يحكمهم بشيء آخر.

والإسلام بطبيعته تناول أمور الدين والدولة بلا تفريق بينهما، فالله تعالى هو المشرع لعباده، قال تعالى: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) (الشورى:31). والفقهاء يستنبطون الأحكام الواقعية في ضوء الشريعة الخالدة، قال تعالى: (وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ)(النساء: من الآية61).

ولا يليق بالبشر أن يشرع بعضهم لبعض شيئا في أمور الدين والاقتصاد والاجتماع والسياسة بمعزل عن شريعة السماء ومقاصد الشريعة، وذلك لما فيهم من ضعف وجهل ونسيان وذهول، فممارسة التشريع من قبل فئة محددة هو نوع من العدوان والإذلال للآخرين الذين يشاركونهم بالإنسانية، ولذلك نعى الله على من احتكم للجاهلية دون شرعه، قال تعالى: (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) (المائدة:30).

وقد أنشأ الإسلام نظاماً ربانياً واقعياً بلا كهنوت ولا أغلال، وإنما فيه مساحة كبيرة للحرية والاختيار، انطلاقاً من قاعدة: (لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ

---

[91] – النبز: التلقيب. المفردات في غريب القرآن، مادة (نبز).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (سورة البقرة: 234).

352- قال تعالى: (يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ) (سورة ص: 24).

ترشد الآية الكريمة إلى أن واجب الخليفة أو الحاكم أن يحكم بالحق، والحق هو شريعة الله التي لا حياد عنها.

351- قال تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) (سورة المائدة: 22).

لقد كانت التوراة كتاب دين ودنيا، يحكم بها النبيون، وقد تضمنت كثيراً من الأحكام، فمن ذلك القصاص، قال تعالى: (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (سورة المائدة: 23).

وكذلك الحال بالنسبة للإنجيل، ففيه حكم الله تعالى للناس، قال تعالى: (وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (سورة المائدة: 25).

والأمر نفسه بالنسبة للقرآن، ففيه حكم الله تعالى للناس، شأنه في ذلك شأن التوراة والإنجيل، قال تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) (سورة المائدة: 26).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ونؤكد هنا أن الإسلام دين ودولة، ولكن لم ترد كلمة دَولة في القرآن الكريم، وإنما وردت كلمة دُولة مرة واحدة، والمعنى واحد، قال تعالى: (مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (سورة الحشر: 5). قال الزمخشري: "الدوُلة والدَولة ــ بالفتح والضم ــ وقد قُرئ بهما ما يدول للإنسان، أي يدور من الجد. يُقال: دالت له الدولة، وأُديل لفلان". [92] وقال الراغب: "الدَّولة والدُّولة واحدة". [93]

وقد ورد في القرآن الكريم ما يرادف معنى الدولة مثل: الملك، والسلطان، ونحو ذلك، قال تعالى: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً) (سورة النساء: 32).

وحقيقة الإسلام أنه دين ودولة، أي أتى بتشريع يشمل الاثنين: الدين والدولة، وأما السلطة التنفيذية، والسلطة القضائية؛ فأمرهما موكول للناس، يختارون الطريقة التي تناسبهم لتنظيمهما في كل زمان ومكان، وهذا معنى صلاحية الشريعة لكل عصر ومصر، فليس المهم من يحكم؟. وليس المهم شكل الحكم، هل يكون خلافة وهو الأولى والأفضل والأصل الذي كانت عليه الأمة، أم يكون ملكياً، أو جمهورياً، أو دستورياً كما هو الحال فيما بعد؟، وإنما المطلوب معرفة بماذا يحكم الحاكم؟، وما هو منهج الحكم؟. فإذا حكم بالعدل، وطبق الشريعة فحكمه إسلامي بالإجمال أياً كان شكل الحكم!، وأيا كان من يتولى شئون الحكم!، وعلى هذا فكل الدول التي تعاقبت، والإمارات المتتابعة والامبرطوريات اللاحقة التي نشأت في بلاد المسلمين عبر التاريخ، هي دول وإمارات إسلامية مع ما في بعضها من دخن وشطط أحياناً!.

ووجود خليفة واحد هو الأصل الذي كانت عليه الأمة، وهو الأفضل، ولكن بسبب البعد بين أقطار الإسلام، والأهواء السياسية التي تتجاذب النفوس، والانقسامات الداخلية، تعدد الخلفاء

---

[92] – تفسير الكشاف، (302/2).

[93] – انظر: المفردات في غريب القرآن، مادة (دول).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في مرحلة ما من حياة الأمة، كما حصل في الأندلس ومصر وبغداد؛ وقد بقيت الأمة موحدة فكريا وثقافيا وشعوريا، وكان ينبغي على هؤلاء الخلفاء التنسيق فيما بينهم على الأقل، وعدم تمزيق الأمة باختلافاتهم فيما بينهم!.

وفي العصر الحديث حيث انقرضت الخلافة، فإن وجود اتحاد عام، أو منظمة يرأسها حاكم بشكل فخري؛ قد يعتبر حلاً مرحلياً في غياب الخلافة.[94]

هذا تقريباً هو معنى صلاحية الشريعة لكل العصور، وأي معنى غيره قد يحمل في طياته انتقاصاً للصحابة رضي الله عنهم ولجمهور المسلمين، وربما يجعل المرء يقع بالتطرف والتكفير، ورفض الآخر، ويقود إلى تكرار الأخطاء التاريخية... فلا يمكن أن يكون الإسلام متمثلا فقط في فترة الخلافة الراشدة دون سواها، أو بحكم آل البيت دون سواهم، فهذا يعني انتهاء صلاحيته منذ القرن الأول، وهذا حكم جائر على أمة الإسلام، وتاريخ المسلمين، والحضارة الإسلامية، بكل المقاييس!.

سابعاً: الحكم شورى، والناس سواسية

352- قال تعالى: (فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) (سورة الشورى: 33). وقال تعالى: (وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) (سورة الشورى: 16).

أكدت الآية الأولى على العدل، وأكدت الثانية على أن الأمر شورى، وأعظم الأمر اختيار الخلفاء من بعده ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، ويلاحظ أن الآية الثانية جاءت بعد الأولى وفي نفس السورة، فكأنه من عدل الله تعالى أنه لم يجعل الأمر من بعد الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ لأحدٍ بعينه من الأصحاب أو القرابة، وإنما جعلهم يتشاورون فيما بينهم تنفيذاً لأمره بالشورى، وهذا ينسجم مع التصور الإسلامي للناس على أنهم أسرةٌ واحدة، متساوون فيما بينهم، فلا تمييز بين الناس، ولا تفضيل لأحد على آخر إلا بعمله، لا بنسبه. قال تعالى: (يَا أَيُّهَا

---

[94] - انظر: العقيدة والسياسة، ص (222-223).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (سورة الحجرات: 31).

والشورى والوصاية كالضدين، ولا تجتمعان كما أن الليل والنهار لا يلتقيان، فطالما أن الأمر شورى كما نصت على ذلك آية سميت السورة كلها باسمها، فهذا يدل دلالة قاطعة على أنه لا وصاية لأحد بعينه بعد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ، ولا توريث، لأن التوريث قد لا يتوافق مع نزاهة الرسالة المجانية وشفافيتها، ويُخشى أن يتنافى مع التصور الإسلامي للبشر بأنهم أسرة واحدة، وهم متساوون في حقوقهم وواجباتهم، ولا يفضل بعضهم بعضاً إلا بالتقوى!.

وربما كان التوريث في المُلك ضرورة للملوك أحياناً، حتى لا تتفكك الدول، وتقع الفتن، ولا سيما في العصور القديمة حيث كانت الدول لا تملك مقدرات الدولة الحديثة اليوم في حفظ الأمن واستمرار النظام العام، وفي هذه الحالة ينبغي أن يكون التوريث بمشورة الأمة، ولذلك التمس بعض العلماء العذر لمعاوية رضي الله عنه لما حول الخلافة إلى ملك[95]، وبالمقابل نجد رفض بعض السلف نعت الأمويين بالخلفاء، فقد "أخرج ابن أبي شيبة في المصنف، عن سعيد بن جمهان، قال: قلت لسفينة: إن بني أمية يزعمون أن الخلافة فيهم. قال: كذب بنو الزرقاء، بل هم ملوك من أشد الملوك، وأول الملوك معاوية".[96]

والجدل في صواب هذا الأمر أو عدمه طويل، وليس هذا موضعه، وأياً كانت الأسباب التي تدفع للتوريث ــ ونحن هنا لا نناقشها ــ فليس ثمة سبب منها يضطر جمهور الأنبياء والمرسلين ــ عليهم السلام ــ إليه، فهم يورثون العلم والهدى، والذي يرث الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ويبلغ عنه أمته، قال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً) (سورة البقرة: 321).

والتوريث في الأصل يجب أن يكون في الكتاب الذي يحمل المنهج، فهذا هو الامر المهم، والأشخاص أياً كان وضعهم وفضلهم يموتون، والمنهج يبقى حياً، قال تعالى: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ

---

[95] – انظر: منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، (5/232-231).

[96] – تاريخ الخلفاء، للسيوطي، ص (363).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) (فاطر:12).

وما ورد في القرآن من طلب بعض الأنبياء ـــ عليهم السلام ـــ من يرثهم من أبنائهم، فهي حالات خاصة، قال تعالى على لسان زكريا عليه السلام: (وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ) (الانبياء:67).

ومعظم الأنبياء ليسوا ملوكا ولا أغنياء لكي يُورثوا، بل كانوا ينفقون أموالهم في الليل والنهار سراً وعلانية، وهم يعلمون أن أتباعهم سيرثونهم بالعلم والهدى، وإنما كان طلبهم للولد ـــ كما فعل زكريا ـــ هو حاجة فطرية من جهة، ومن باب أن يكون هذا الولد منارة بعد أبيه من جهة أخرى.[97]

وقد يكون ولد النبي نبياً، ولا سيما أن باب النبوة قبل الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ كان لم يغلق بعد!، وهذا ما حصل مع إبراهيم وولديه إسماعيل وإسحاق، قال تعالى: (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلّاً هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) (الأنعام:62).

وكذلك الحال مع داود وابنه سليمان، قال تعالى: (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ) (النمل:34).

والأمر ذاته بالنسبة لزكريا وابنه يحيى، قال تعالى: (يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً) (مريم:32).

وكل من ذكر من أولاد الأنبياء ـــ في القرآن الكريم ـــ الذين ورثوا آباءهم جعلهم الله تعالى أنبياء مثل آبائهم.

وأما سيدنا محمد ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ فقد أغلق باب النبوة به، ولذلك مات أبناؤه الذكور قبله، فلا وراثة من جهة النبوة، وهو ليس ملكاً فيورث، وعليه فلا وراثة من جهة الملك أيضاً، ولا وراثة من جهة المال كذلك، إذ لا مال عنده كي يُقسم بين الورثة، فقد مات

---

[97] – لحكمة يريدها الله تعالى قُتل يحيى قبل أبيه زكريا عليهما السلام، وهما سيدا شباب الجنة، ويليهما الحسن والحسين رضي الله عنهما. انظر: البداية والنهاية، (2/25، 30).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ودرعه مرهونة عند يهودي[98]، فبماذا سيرثه أزواجه وبنته فاطمة وأقرباؤه رضي الله عنهم جميعاً؟.

لقد ورث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أمته وأهله وأصحابه هذا الكتاب، ويكفيه فخراً بذلك، فالكتاب أسمى من المال والملك وحطام الدنيا الزائفة!، قال تعالى: (أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (العنكبوت:33).

وفي أحداث التاريخ ما يؤكد أن التوريث قد يكون مفيداً أحياناً لاستقرار الدول وثبات الملك، وربما كان قائماً على الشورى ضمن الحلقة الضيقة التي تحيط بالحاكم، وقد يكون قائماً على المزاجية والمصلحة، ولكنه في بعض الأحيان قد يكون مثيراً للفتنة، كما حصل بين الأمين والمأمون، وهو في بعض حالاته ربما كان أقرب إلى الجور والاستبداد منه إلى الشورى والعدل... ومن ذهب إلى رفض التوريث مطلقاً، أو قبوله مطلقاً، فقد جانب الصواب، فلكل مجتمع ظروفه التي تحتم طريقة انتقال السلطة فيه بشكل سلمي.

ولعل من وقف ضد التوريث بشكل مطلق لم يفقه جوهر الإسلام وحقيقة رسالته السمحة!، والأمر نفسه بالنسبة لمن أجازه بشكل مطلق دون قيود ولا ضوابط ولا احترام لإرادة الأمة، وأياً كان الأمر... فينبغي أن نفرق هنا بين توريث الملك من قبل الملوك لأبنائهم فهذا شيء، وتوريث الخلافة من قبل الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهذا شيء آخر مختلف تماماً، فالرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ لم يورث أحداً لأنه يريد أن يؤسس للشورى بشكل عملي واقعي، ومنهج الشورى هو الأفضل عند الله وعند الناس، كذلك يدرك الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن الناس سواسية في ميزان الله، فلا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى!، وهو أزهد الناس في الدنيا ومناصبها، ولذلك أبعد أهله عنها، والرسول محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ حين أبعد أهله عن الدنيا ومناصبها يكون بهذا الفعل هو أول من احترم حق الأمة في اختيار من يحكمها صلوات الله وسلامه عليه، فهو بحق مؤسس حقوق الإنسانية!، والقواعد المدنية، وهو سيد الأحكام الموضوعية، ورأس الشفافية في تاريخ البشرية، وهو باني النهضة الحضارية الراشدة المتكاملة قبل أن تعرفها أوروبا بقرون!.

---

[98] – ورد في هذا حديث رواه البخاري عن عائشة، انظر: مشكاة المصابيح، (651/2)، رقم الحديث (2663). وانظر أيضا: المشكاة، (3464/1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثامناً: من سنن الله في الحياة والتغيير

353- قال تعالى: (يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) (سورة الرحمن: 27).

ترسم هذه الآية العلاقة بين الله تعالى وعباده، وهي علاقة المسبب بالسبب، فهم جميعاً يتجهون إليه سبحانه بطلب العون والمساعدة وتفريج الكروب، وتحقيق الآمال، وهو سبحانه الذي يتولى تحقيق ذلك، فيعطي ويمنع، ويصل ويقطع، ويخفض ويرفع، في عملية دائبة مستمرة لا تتوقف لحظة واحدة!.

فالله الذي خلق هذا الكون جعله يتحرك بكل ما فيه، أجرامه تتحرك وذراته، وبحاره وأنهاره، وخلقه كلهم يتحركون، والحياة كلها مسرح متحرك!، كل يوم يدخل إليه وجوه جديدة، وتخرج وجوه بعد أن أدت دورها، وقديماً قال أبو العلاء:[99]

ونحنُ بعلمِ الله من متحركٍ
يُرى ساكناً أو ساكن يتحركُ

فالتغيير قائم في كل شيء، إلى أن نلقى الله تعالى!، ومقاليد الأمور كلها بين يديه سبحانه، قال تعالى: (فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (سورة يس: 61). وحول تعاقب الدهر بالمسرات والأحزان قال أبو العلاء:[100]

الدهرُ إن ينصركَ ينصرْ بعدها
ذا إحنةٍ فيحورُ كلَّ محارِ
وهواجرُ الأيامِ يسلبُ حرها
ما أودعتهُ ذواهبُ الأسحارِ

---

[99] - اللزوميات، (332/2).

[100] - اللزوميات، (200/3).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

354- قال تعالى: (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ) (سورة الرعد: 33).

تبين الآية: أن سنة الله في التغيير تبدأ في النفوس، وتنتهي بالواقع والمجتمعات!، وهذا ما يفسر لنا سر الختم بسورة الناس، لأن الاستعاذة من شر الوسواس الخناس مهمة، فأول ما تبدأ الخواطر النفسية ـــ والشريرة منها على وجه الخصوص ـــ تبدأ بالوسوسة، ثم تنتهي لتصبح فكرةً، فمشروعاً قائماً على وجه الأرض!، وحيث أتم الله تعالى دينه للمسلمين، فقد ختم قرآنه محذراً لهم من الوسوسة التي تقود إلى التغيير والتبديل بالدين!، وهو أمر يكرهه الله تعالى!، قال تعالى: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً) (سورة الأحزاب: 21).

355- قال تعالى: (وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (13) أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ). (سورة الزخرف: 12-13).

توضح هاتان الآيتان: أن تفاوت الناس بالرتب والأرزاق قدر إلهي، وضرورة واقعية للناس في معاشهم، والرزق منه معنوي كالنبوة والعلم، ومنه مادي كالملك والثروة، ويقع التفاعل بين هذه الأشياء جميعاً في واقع الحياة، ليتم الابتلاء الذي خُلق من أجله الناس، قال تعالى: (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ) (سورة الملك: 2).

356- قال تعالى: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ، إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) (سورة هود: 336-337).

خلق الله البشر نوعين: منهم مؤمن ومنهم كافر، قال تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (سورة التغابن: 2). و لم يشأ أن يجعلهم فريقاً واحداً كلهم من أهل الإيمان، لأن حكمة الخلق تقتضي التنوع في الفسيفساء البشرية من الأشكال

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والألوان واللغات والأديان[101]، وأن يملأ النار بسكانها مثلما يملأ الجنة أيضاً!. وعليه فلا ينبغي لإنسان أن يتبرم بأخيه الإنسان مهما كان دينه أو مذهبه!؛ لأن هذه الدنيا دار ابتلاء، والآخرة هي دار الجزاء.

357- قال تعالى: (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً) (سورة الإسراء: 34).

تبين هذه الآية أن هلاك المدن وأصحابها، وزوال الأمم والحضارات، هو بسبب المترفين الذين يشيعون الفساد والشهوات والأهواء، ويتمردون على سلطان الله في الأرض، فيترل الله العقاب بالجميع!.

360- قال تعالى: (وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً) (سورة الكهف: 37)

هذه الآية تفصل ما قبلها، فأحد أهم أسباب الهلاك والفسق والفساد هو: الظلم، والظلم ثلاثة أنواع:

الأول: الظلم العلمي، وهو أن تظلم الحقيقة، كأن تدعو لله شريكاً وهو الذي خلقك، قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) (سورة لقمان: 31).

الثاني: الظلم الذاتي، وهو أن تظلم نفسك، فتمنعها من التمتع بالعيش في كنف الله الكريم، وظل القرآن العظيم، قال تعالى: (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ) (سورة الزخرف: 54).

الثالث: الظلم الاجتماعي، وهو أن تظلم الآخرين من عباد الله تعالى، قال تعالى: (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (سورة الشورى: 22).

---

[101] - انظر: العقيدة والسياسة، ص (347).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

363- قال تعالى: (إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) (سورة آل عمران: 320).

جعل الله الأيام دولاً، فيومٌ لك ويومٌ عليك، وكتب الفناء على جميع الدول والممالك كما كتبه على الأفراد، فمصير هذه المدن كلها البوار، قال تعالى: (وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً) (سورة الإسراء: 36). وقال تعالى: (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ) (سورة الرحمن: 24). وهذا الأمر معروف حتى للعامة والجواري، إذ كان آخر ما غنته جارية واسمها ضعف بين يدي الأمين:[102]

أما ورب السكون والحرك
إن المنايا كثيرة الشـــــــــــــــــركِ
ما اختلف الليل والنهار ولا
دارت نجوم السماء في الفلك
إلا لنقل السلطان من مـــــلك
قد زال سلطانـــــــــــــــه إلى ملك
وملك ذي العرش دائم أبدا
ليس بفان ولا بمشـــــــــــــــترك

(فقال لها: قومي لعنك الله، فقامت، فعثرت بقدح بلور له قيمته؛ فكسرته، فقال: ويحك يا إبراهيم أما ترى؟ والله ما أظن أمري إلا قرب، فقلتُ: بل يطيل الله عمرك، ويعز ملكك، فسمع صوتاً من دجلة: (قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) (سورة يوسف: 23). فوثب محمد مغتماً، وقتل بعد ليلتين).[103]

---

[102] – البداية والنهاية، (220/30)، و تاريخ الخلفاء، للسيوطي، ص (256).

[103] – تاريخ الخلفاء، للسيوطي، ص (256).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وما دام الأمر كذلك، فقد نفى الله الملك عن آل بيت نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ، فهم ملوك القلوب والأرواح، إن كان غيرهم قد ملك الأجسام والأشباح؛ وذلك خير لهم من أن يتآمر الناس على ملكهم، فيقعون في معارك هم بغنى عنها... وقديماً قال أبو العلاء:[104]

أغنى الأنامِ تقيٌّ في ذرى جبلٍ
يرضى القليل ويأبى الوشيَ والتاجا
وأفقرُ الناسِ في دنياهمُ ملكٌ
يُضحي إلى اللجبِ الجرارِ محتاجا

إن آل البيت هم أصحاب دولة الآخرة!، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً، وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً) (سورة الأحزاب: 26-27). وقد صدق فيهم قول أيمن بن خُريم:[105]

نهاركمُ مكابدةٌ وصومٌ
وليلكمُ صلاةٌ واقتراءُ
وليتم بالقُران وبالتزكي
فأسرعَ فيكمُ ذاكَ البلاءُ

لقد أثار حزني على بعض أفراد من آل البيت رضي الله عنهم ما أصابهم من صليل السيوف ونزف الدماء، ومن يراجع كتاب مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصبهاني سيجد أن العشرات منهم قُتلوا عبر الأزمان المتطاولة نتيجة وثبتهم لأخذ الملك، دون أن يحالفهم التوفيق!؛ ولو علم هؤلاء أنهم مثل غيرهم في شأن الملك، ولا أحقية لهم به دون الناس، لصانوا دماءهم ودماء من

---

[104] – اللزوميات، (3/354-355).

[105] – تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، د. شوقي ضيف، ص (357).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قاتلوهم!، ولبقيت الوحدة الإسلامية قائمة إلى يوم الدين!، وفي هذا الصدد نذكر قول ابن الوردي:[106]

جانبِ السلطانَ واحذرْ بطشهُ
لا تعاندْ من إذا قـــــــــــــالَ فعلْ

ولو علم من قاتلوهم عظم جريمة قتل واحدٍ من آل بيت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لما قاتلوهم!، ولا تستحق الدنيا أن يتهافت عليها الصالحون، وقد ماتوا جميعاً وتركوها، وهي لا تساوي عند الله تعالى جناحَ بعوضة!. ولذلك زهد سيدنا الحسن رضي الله عنه بالدنيا ومغرياتها ومناصبها، وفي الخبر التالي تأكيد لما ذهبنا إليه، فقد "قام رجل إلى الحسن بن علي، بعد ما بايعَ معاويةَ، فقال: سودتَ وجوه المؤمنين، أو: يا مسوِّدَ وجوه المؤمنين. فقال: لا تُؤنبني رحمكَ اللهُ، فإن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أُري بني أميةَ على منبره، فساءَهُ ذلك، فنزلت: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) (الكوثر:3) يا محمد!، يعني نهراً في الجنة، ونزلت: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ، لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ) (القدر:3-1) يملكها بعدكَ بنو أميةَ يا محمدُ!. قال الفضل بنُ القاسم: فعدَدْنا، فإذا هي ألفُ شهرٍ، لا تزيدُ يوماً ولا تنقصُ".[107]

نسأل الله الكريم أن يغفر للجميع، ويرحم الجميع، وبخاصة ممن أسلم من بني هاشم وبني عبد شمس، إنه هو الغفور الرحيم، وأن يؤلف بين قلوب الخلف كما ألف بين قلوب السلف حيث قال: (وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (الأنفال:41).

وخلاصة هذا المبحث:

لقد وجدنا أن التصور الإسلامي لنظام الحكم والسياسة الشرعية ينطلق من أن الله تعالى هو الذي يشرع لعباده ما يشاء، وأن الملك لله يضعه حيث يشاء، والعدل أساس الملك، وللعدل

---

[106] – جواهر الأدب، للهاشمي، ص (464).

[107] – أخرجه الترمذي، انظر: جامع الأصول، (212/2).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثلاث صور وضحناها، ويتجه التصور الإسلامي إلى وجوب طاعة الحاكم في غير معصية، ويحدد مرجعية أولي الأمر، وهم العلماء والحكام.

وتحدثنا بعد ذلك عن السلم الاجتماعي وهو من واجبات السلطة، فالمجتمع الإسلامي مجتمع متآخي متآلف متواد متحاب، وفي حالة نشوب نزاع بين مجموعتين من أفراده، فيينبغي الصلح بينهما، وقد أعلنت الآيات القرآنية المساواة والتآخي بين جميع البشر، فهم أصلاً من أسرة واحدة، والتنوع هدفه التعارف والتبادل في المصالح والمعرفة الإنسانية، وأفضل الناس عند مليكهم أتقاهم، وقد نهت الآيات الكريمة عن كل الظواهر السلبية التي تفكك وحدة الأمة وتمزقها.

وتناولنا أهمية الحكم بشريعة السماء، لأن الإسلام دين ودولة، شأنه في ذلك شأن الشرائع السماوية السابقة، وذلك أن من مقتضيات الدين الرباني أن يرتب حياة الناس من كافة جوانبها، حتى يكون هنالك انسجام في التشريع، ولا يقع الناس في فصام نكد بين دينهم وواقعهم، والإسلام بطبيعته تناول أمور الدين والدولة بلا تفريق بينهما، وأنشأ نظاماً إسلامياً واقعياً بلا كهنوتٍ ولا أغلال، وفي هذا النظام مساحة كبيرة للحرية والاختيار.

لقد جاء الإسلام بتشريع يشمل الاثنين: الدين والدولة، وأما السلطة التنفيذية والسلطة القضائية فأمرهما موكول للناس يختارون الطريقة التي تناسبهم لتنظيمهما في كل زمان ومكان، وهذا معنى صلاحية الشريعة لكل عصر ومصر، فليس المهم من يحكم؟. وليس المهم شكل الحكم، وإنما المطلوب معرفة بماذا يحكم؟، وما هو منهج الحكم؟. فإذا حكم بالعدل، وطبق الشريعة فحكمه إسلامي أياً كان شكل الحكم!، وأياً كان من يتولى شئون الحكم!، وعلى هذا فكل الدول التي تعاقبت والإمارات التي نشأت في بلاد المسلمين هي دول وإمارات إسلامية مع ما في بعضها من دخن وشطط أحياناً.

وذكرنا انطلاق الحكم الإسلامي من قاعدة الشورى، والله عز وجل هو الذي أمر بالشورى، وهذا ينسجم مع نظرة الإسلام للناس على أنهم من أسرة واحدة، متساوون فيما بينهم، فلا تفضيل لأحدٍ على آخر إلا بعمله لا بنسبه[108].

[108] – انظر: العقيدة والسياسة، ص (223-224).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والشورى والوصاية كالضدين، وربما لا تجتمعان كما أن الليل والنهار لا يلتقيان، فطالما أن الأمر شورى كما نصت على ذلك آية سميت السورة كلها باسمها، فهذا يدل دلالة قاطعة على أنه لا وصاية لأحد بعينه بعد رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، ولا توريث بالخلافة لأحد، لأن التوريث قد يتنافى مع نزاهة الرسالة المحانية، وشفافية الإسلام وعدله ومساواته بين الناس!.

ثم ختمنا الحديث عن سنن الله في الحياة والتغيير، لنثبت من ذلك كله أن الملك لله تعالى، وأن بقاء الحال من المحال، فذكرنا أن سنة الله في التغيير تبدأ في النفوس وتنتهي بالواقع والمجتمعات، وأن تفاوت الناس بالرتب والأرزاق قدر إلهي، وضرورة واقعية للناس في معاشهم، والرزق منه معنوي كالنبوة والعلم، ومنه مادي كالملك والثروة، وقد خلق الله البشر متنوعين: منهم مؤمن ومنهم كافر، و لم يشأ أن يجعلهم فريقاً واحداً كلهم من أهل الإيمان، لأن حكمة الخلق تقتضي التنوع في الفسيفساء البشرية من الأشكال والألوان واللغات والأديان، وعليه لا ينبغي لإنسان أن يتبرم بأخيه الإنسان مهما كان دينه أو مذهبه!.

وبينا أن هلاك المدن وأصحابها، وزوال الأمم والحضارات، هو بسبب المترفين الذين يشيعون الفساد والشهوات والأهواء، ويتمردون على سلطان الله في الأرض، فيترل الله العقاب بالجميع، وأحد أهم أسباب الهلاك والفسق والفساد هو الظلم، وقد ذكرنا أهم صوره.

وما دام الأمر كذلك، فقد نفى الله الملكَ عن آل بيت نبيه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، فهم ملوك القلوب والأرواح إن كان غيرهم قد ملك الأجسام والأشباح؛ وذلك خير لهم من أن يتآمر الناس على ملكهم، فيقعون في معارك هم بغنى عنها، وأن يكونوا حياداً يحترمهم الناس جميعاً، أو في المعارضة يأمرون السلطة بالمعروف وينهونها عن المنكر، فذلك أفضل من أن يكونوا في الحكم الذي يتنازع الناس عليه، وقد يترعونه منهم فيفقدون قدراً من احترامهم ومهابتهم بين الناس، وفي هذا الصدد نذكر قول ابن الوردي:[109]

[109] – جواهر الأدب، للهاشمي، ص (464).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لا تلِ الأحكامَ إن هم ســـــألوا
رغبةً فيكَ وخالفْ مـــنْ عذلْ
إنَّ نصفَ النـــــاسِ أعداءٌ لمنْ
وليَ الأحكـــــــــــامَ هذا إنْ عدلْ

* * *

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثاني: هل أوصى الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالخلافة لأحد من بعده؟

نتجه في هذا المبحث الأخير إلى دراسة دور الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ في النظام الإسلامي، فهو نبي عبد وليس نبياً ملكاً، والدعوة إلى الله تعالى مجانية بلا مقابل دنيوي!، وقد جاءت آية الشورى وآية المودة في القربى كلتاهما في سورة الشورى، مما قد يعني أن المودة لا تعني الحكم والرئاسة، ونبين أن القرآن الكريم لم يشر إلى خلافة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ تماشياً مع مبدأ الشورى، ونناقش فكرة من يستحق المُلْك في الدنيا؟، ونوضح العلاقة بين النبوة والرسالة والإمامة؟، وندرس بعض الأحاديث التي تثير شبهة الوصاية، ونتناول تأويل ما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم وأن الاختلاف قدر مكتوب عليهم؛ مما يبدد فكرة الوصاية، ونختم بالحديث عن أن الخلفاء جميعاً على صلة قرابة بالرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ، فكلهم سادة فضلاء، غرر الدهر وأعيان البشر.

أولاً: الرسول نبي عبد، وليس نبياً ملكاً

362- قال تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا) (سورة الكهف: 3).

سمى الله تعالى رسوله ــ عليه الصلاة والسلام ــ عبداً في عدد من الآيات، منها الآية السابقة، ومنها قوله تعالى: (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً) (سورة الفرقان: 3). وقوله أيضاً: (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً) (سورة الجن: 37).

وقد تقدم أن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد خُير بين أن يكون نبياً عبداً، أو نبياً ملكاً، فاختار أن يكون: (نبياً عبداً). وهذا الاختيار غاية في كمال العبودية، وعليه فلا وراثة من جهة النبوة، لأنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ خاتم النبيين، قال تعالى: (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً) (سورة الأحزاب: 20).

ولا وراثة من جهة الملك أيضاً؛ لأنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ نبي عبد، وليس نبياً ملكاً، وبعضد هذا أن أبا سفيان قال للعباس يوم فتح مكة: "والله يا أبا الفضل! لقد أصبح ملك ابن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أخيك الغداة عظيماً. قال: قلت: يا أبا سفيان! إنها النبوة. قال: فنعم إذن"[110]، فقد صحح العباس تصور أبي سفيان للرسالة الإسلامية، فهي مشروع دعوة ربانية، وليست مشروع ملك، أو متاع دنيوي رخيص!.

361- قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) (سورة المائدة: 45).

أمر الله تعالى رسوله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ أن يبلغ الدعوة للناس جميعاً، فلا أسرار ولا كتمان، ولا وصاية لأحد بالملك دون سواه، لأنه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ ليس بملك، وقاعدة الإسلام في الحكم تقوم على الشورى لا غير.

ثانياً: الدعوة مجانية

362- قال تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ) (سورة الأنعام: 70).

لم يكن رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ يطلب أجراً على دعوته، وقد تكرر تأكيد هذا الأمر في آيات كثيرة، قال تعالى: (وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) (سورة يوسف: 302). و قال تعالى: (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً) (سورة الفرقان: 35). و قال تعالى: (قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (سورة سبأ: 25). و قال تعالى: (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ) (سورة ص: 64). و قال تعالى: (أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْراً فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ) (سورة الطور: 20). وقد تكررت هذه الآية في: (سورة القلم: 24). فهذه الآيات الكثيرة تبين أن الدعوة إلى الله تعالى عمل إلزامي يقوم به الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ مجاناً بتكليف من ربه، وهو عمل بلا مقابل من حطام الدنيا أو مناصبها الزائلة، إنه باختصار دعوة إلى الجنة والسعادة في الدارين بلا أجر يطلبه من الناس!.

---

[110] – السيرة النبوية، لابن هشام، (70/2).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

و الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ليس بدعاً بهذا الأمر، ولكن هذا شأن عامة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، فقد قال تعالى على لسان نوح: (فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) (سورة يونس: 52). وقال أيضاً: (وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ) (سورة الشعراء: 307). وقال تعالى على لسان هود: (يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلا تَعْقِلُونَ) (سورة هود: 33). وقال أيضاً: (وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ) (سورة الشعراء: 325). وقال تعالى على لسان صالح: (وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ) (سورة الشعراء: 323). وقال تعالى على لسان لوط: (وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ) (سورة الشعراء: 342). وقال تعالى على لسان شعيب: (وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ) (سورة الشعراء: 360). وقال تعالى على لسان الرجل في قصة أصحاب القرية: (اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُهْتَدُونَ) (سورة يس: 23). فالدعوة إلى الله مجانية في كل زمان ومكان، وهي بلا مقابل.

363- ولم ترد إشارة إلى الأجر إلا في آيتين: الأولى: قوله تعالى: (ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ) (سورة الشورى: 21).

ومعنى الآية: أجري أن تحبوني لأني قريبكم، وهذا قول ابن عباس وهو الراجح، أو تحبوا أقربائي، وهو قول سعيد بن جبير، وهو قول مرجوح، لأنه ما من بطن من بطون قريش إلا وله قرابة مع الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ كما ذكر ابن عباس[111]. وعليه فالمودة له ــ صلى الله عليه وسلم ــ، أو لأقربائه ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا تعني الخلافة من بعده لأحد، لأنك إذا أحببت إنسانا دعوتَ له، أو أهديته هدية، وليس من شرط المحبة أن توليه أمورَك كلها، ولو وليته فهذا تطوع منك وليس لزاماً في العقل أو الشرع، لأن إلزام الشرع للناس أن تحكمهم أسرة معينة يبطل الشورى من جهة، وقد ينفي صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان جهة أخرى، إذ يعني هذا أن هنالك نموذجاً صارماً للحكم من خرجَ عنه: خرجَ عن دائرة الإسلام، وفي هذا تضييق على الأمة، وحكم على سائر الملوك والأمراء والرؤساء من

[111] – انظر: مختصر تفسير ابن كثير، (253/1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العصر الأول حتى عصرنا ببطلان ولاياتهم، أي يعني هذا أن الإسلام لم تقم له قائمة!، فكيف يكون صالحاً لكل زمانٍ ومكانٍ و لم تقم له قائمة في الأرض؟!.

إن الإسلام وضع قيماً للحكم من: عدالةٍ وشورى ومساواة، ووضع أحكاماً تشريعية للفرد والأسرة والمجتمع، وبعد ذلك ترك للناس طريقة اختيار حكامهم كخلفاء أو ملوك أو رؤساء... فالمسميات غير مهمة، المهم أن يُحكم الناس بالعدل وفق شريعة الله عز وجل، وهذا الذي جعله صالحاً لكل زمان ومكان!. وبهذا استوعب الإسلام كل الدول والإمارات والأقاليم والأمم والشعوب تحت لوائه من عهد الرسالة حتى يومنا هذا، والقول بحصر الخلافة ببيت معين قد يلغي صلاحية هذا الدين لكل زمان ومكان، ويجعل المسلمين كلهم تقريباً خارج مظلة الإسلام!.

والآية الثانية قوله عز من قائل: (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً) (سورة الفرقان: 35). أي يكفيني أن تتبعوني وتتجهوا إلى الله معي؛ وعليه فلا أجر مادي في هذه الدنيا، وقد طلب الله تعالى من رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يرأف بأصحابه ويلين لهم، ويمارس الشورى معهم، قال تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) (سورة آل عمران: 337).

وفي غيبة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ يكون أمر الأصحاب ــ رضي الله عنهم ــ شورى، فهم يمارسون الشورى التي علمهم إياها رسولهم ــ صلى الله عليه وسلم ــ، والشورى لا تعني اتفاق الجميع دائماً، فقد يكون هذا متعذراً، ولكن هي في الغالب اتفاق السواد الأعظم[112]، أو ما يسمى بالجمهور، وليس ثمة أمر أعظم من الخلافة، ولذلك فهي بينهم شورى، قال تعالى: (وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) (سورة الشورى: 16).

[112] – انظر: مشكاة المصابيح، (3/43-42)، الحديث رقم: (351، 352).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ملاحظة:

ننبه إلى أن آية الشورى وآية المودة في القربى كلتاهما في سورة الشورى، وجاءت آية الشورى عقب آية المودة في القربى بخمس عشرة آية!، مما قد يعني أن المودة لا تعني الحكم والرئاسة، وإلا لبطل معنى الشورى مع وجود من سيملأ الفراغ القيادي في غيبة الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ والله تعالى أعلم.

وعليه فلو اختار المسلمون أحداً من الصحابة لمنصب الخلافة فلهم ذلك، ولو اختاروا أحداً من قرابة رسولهم ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ فلهم ذلك، ولكن ليس لزاماً عليهم أن يختاروا أحداً من قرابته ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، إذ لو ألزمهم بذلك لربما كان هذا أعظم أجر دنيوي يطلبه لأسرته، حيث جعلهم ملوكاً يتحكمون في رقاب الناس من بعده!، والرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ لم يطلب الملك لنفسه حتى يطلبه لغيره، وقد اختار أن يكون نبياً عبداً لا نبياً ملكاً، ولو طلب الملك لنفسه لحق له ذلك؛ لأنه أشرف العرب والعجم، ولكن مثل هذا الأمر لا يتواءم مع تواضعه وإخباته وزهده في الدنيا ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، وقديماً قال أبو العلاء مزهداً بالرئاسة:[113]

هل تثبتنَّ لذي شـــــــامٍ وذي يمنٍ
عطيةُ الدهـــــــرِ من عزٍ وتمكينِ
خيرٌ لصاحبِ تاجٍ يُدّعى ملـــــكاً
لو أنه لابسٌ أطمارَ مســـــــــــكينِ

وعليه: فالرسالة مجانية، والراجح أنه لا وصية لأحد من الأقرباء بالخلافة، لأن هذا لو حصل لربما تناقض مع الشورى التي نص عليها الشارع الحكيم في القرآن الكريم، ومع التواضع الذي عرف به الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وآل بيته الأطهار رضي الله عنهم وأرضاهم.

[113] – اللزوميات، (173/2).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثالثاً: قرائن قرآنية تمنع من الغلو

364- قال تعالى: (وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً) (سورة الفرقان: 5).

تشير هذه الآية إلى أن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بشر عادي، يمارس ما يمارسه الناس في حياتهم، فيأكل ويشرب ويمشي في الأسواق!، مثله في ذلك مثل كافة الرسل قبله عليهم الصلاة والسلام!، قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً) (سورة الفرقان: 20).

وعليه فمثل هذه الآيات تؤكد بشرية الرسول القائد ــ صلى الله عليه وسلم ــ، قال تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً) (سورة الكهف: 330).

وهو مع بشريته قد تميز على الناس بالعصمة والوحي، ولكن لا عصمة لأحد من بعده أياً كان!، لأن الوحي قد انقطع، والعصمة خاصة بصاحب الوحي الذي يأخذ الناس عنه دينهم، ولا حاجة لمن يُكمل الدين بعده، لأن الدين قد اكتمل في حياته ــ صلى الله عليه وسلم ــ، قال تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (سورة المائدة: بعض الآية 1).

365- قال تعالى: (قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ) (سورة الأحقاف: 7).

معنى بدعاً: "مُبدعاً لم يتقدمني رسول. وقيل: مُبدعاً فيما أقوله"[114]، تبين هذه الآية أن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ هو آخر حلقة في سلسلة الأنبياء والمرسلين عليهم أفضل الصلاة والسلام، وأنه يُبلغ عن ربه عز وجل، وأنه لا يعلم الغيب مطلقاً، فلا ينبغي الغلو بشخصه الكريم، ولا بآل بيته الأطهار، ولا صحابته الأبرار، فأصل الدين توحيد الله تعالى، والتوجه إليه وحده بالعبادة والدعاء، فلا ينبغي العدول عن هذا، أو نسيانه؛ ليصبح الدين كله غلواً في محبة الآل والأصحاب!، مما قد ينحرف عن مقاصد الشريعة الإسلامية أساساً.

---

[114] – المفردات في غريب القرآن، مادة (بدع).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رابعاً: القرآن لم يشر إلى خلافة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ.

وردت آيات كثيرة تشير إلى احتمال وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، من ذلك قوله تعالى: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) (الزمر:10). وقوله: (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ) (غافر:55). وقوله: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) (آل عمران:322). وقد نعيت إليه نفسه الشريفة عند نزول سورة النصر، قال ابن عباس: "لما نزلت: (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) (النصر:3)، دعا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فاطمة، وقال: (إنه قد نعيت إليَّ نفسي). فبكت، ثم ضحكت، وقالت: أخبرني أنه نعيت إليه نفسه، فبكيت، ثم قال: (اصبري فإنك أول أهلي لحوقاً بي) فضحكت"[115].

ولكن لا توجد آية واحدة تشير إلى صفة من سيخلف النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ حال وفاته، أو تنص بشكل واضح وصريح على اسم شخص معين يكون هو الخليفة من بعده، علماً أن القرآن الكريم تضمن أسماء كثيرة بشكل صريح، وأشار إلى أخرى بشكل غير مباشر، وكذلك رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لم يحدد من سيخلفه تماشياً مع مبدأ الشورى، وهذا موقف عظيم لسيد البشر ينسجم مع فهم الدين والواقع وسنن التاريخ، لأنه لو حدد شخصاً معيناً، فهذا الشخص سيحكم مدة ثم يموت، وتعود المشكلة قائمة، فلا يمكن أن يحدد من سيحكم الأمة بعد غيابه إلى قيام الساعة، ولذلك بقي الأمر شورى اتباعاً للمنهج القرآني من جهة، واحتراماً لرغبة الأمة وإرادتها من جهة أخرى، قال تعالى: (وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) (الشورى:16).

وقد كان الصحابة جميعاً وبخاصة المقربون من النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يستشعرون ذلك الموقف من رسولهم الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ، وهو أنه لم يوص، وقد يجعل الخلافة شورى في ما لو سُئل عن شأنها، وكان هذا شعورهم حتى آخر لحظة من حياته ــ صلى الله عليه وسلم ــ، ففي يوم وفاة النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ سأل الناس علياً رضي الله عنه: "كيف أصبح رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ؟. قال: أصبح بحمد الله بارئاً. قال: فأخذ العباس بيده، ثم قال: يا علي! أنت والله عبد العصا بعد ثلاث، أحلف بالله لقد

---

[115] – مختصر تفسير ابن كثير، (465/1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عرفت الموت في وجه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كما كنت أعرفه في وجوه بني عبد المطلب، فانطلق بنا إلى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ، فإن كان هذا الأمر فينا عرفناه، وإن كان في غيرنا أمرناه فأوصى بنا الناس. قال: فقال له علي: إني والله لا أفعل، والله لئن منعناه؛ لا يؤتيناه أحد بعده. فتوفي رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حين اشتد الضحاء من ذلك اليوم".[116]

خامساً: من يستحق المُلْك في الدنيا؟.

الجواب أن الملك يعطيه الله للمؤمنين مثل سليمان عليه السلام، وللكافرين مثل فرعون، فهو ليس خاصا بأهل الإيمان دون أهل الكفر، وأما الآخرة فهي خاصة بالمؤمنين دون سواهم، ولذلك قال تعالى لنبيه الأكرم ــ صلى الله عليه وسلم ــ: (وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى) (سورة الضحى: 2).

والملك ابتلاء، ولا يقوى عليه أي إنسان، وقد يزويه الله تعالى عن بعض أوليائه حتى يتفرغوا لعبادته، ولا تأسرهم شئون الدنيا عن الوقوف بباب حضرته، قال تعالى: (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) (سورة القصص: 61).

سادساً: ما العلاقة بين النبوة والرسالة والإمامة؟.

قبل الجواب: نبدأ بتحرير هذه المصطلحات لغوياً:

– النبي: النبي بغير همز... وهو من النبوة، أي: الرفعة، وسمي نبياً لرفعة محله عن سائر الناس المدلول عليه بقوله: (وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً) (سورة مريم: 35).

– الرسول: مشتق من رسل، وأصل الرِّسْل: الانبعاث على التُّؤَدَةِ... ومنه الرسول المنبعث، وتصور منه تارةً الرفق... والرسول يقال للقول المُتَحمل، وتارةً لمُتَحمِّل القول والرسالة، ويقال للواحد والجمع.

– الإمام هو المؤتمُ به؛ إنساناً كأن يُقتدى بقوله أو فعله، أو كتاباً، أو غير ذلك، محقاً كان أو مبطلاً وجمعه أئمة.[117]

وعليه فلدينا أربعة دوائر متداخلة:

---

[116] – السيرة النبوية، لابن هشام، (237/2).

[117] – انظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب، المواد: (نبي، رسل، أمم).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الدائرة الأولى: دائرة العبودية أو الخلافة في الأرض، وهذه يدخل فيها كل إنسان كلفه الله تعالى بعبادته، قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ) (سورة البقرة: 10).

الدائرة الثانية: دائرة الإمامة أو (الخلافة السياسية) فالإمام هو الحاكم الذي يتلقى التوجيهات من الأنبياء (الدائرة الثالثة) أو المرسلين (الدائرة الرابعة) وينظم بها شئون الناس في الدائرة الأولى.

الدائرة الثالثة: دائرة النبوة، وأصحابها صفوة الخلق، والنبوة هبة من الله تعالى، ولا تنال بالكسب، والنبي يدعو ويبلغ، ولكن ليس لديه رسالة أو منهج جديد، وإنما يتبع منهج رسول قبله.

الدائرة الرابعة: دائرة الرسالة، وأصحابها هم صفوة الصفوة، يوحي الله تعالى إلى كل منهم بكتاب أو شريعة جديدة، ويقوم بالتبليغ عن ربه.

وعليه فالمرسلون هم في قطب العبودية، ومركز الدوائر كلها، يليهم الأنبياء، فالخلفاء، فعامة المؤمنين، وكل رسول هو نبي، وخليفة، وعبدٌ لله رب العالمين بالضرورة.
وعليه لو قال قائل: إن الإمامة فوق النبوة والرسالة، فقد خالف المنهج الصحيح، والتبس عليه الحق.

فإن قيل: فما القول في شأن إبراهيم عليه السلام أوتي الإمامة بعد الرسالة؟، قال تعالى: (وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) (سورة البقرة: 322). ألا يدل على أن الإمامة أعظم من الرسالة؟.
والجواب: كلا، فالرسالة أجل وأعظم، وهو قد أوتي الإمامة لأنه رسول ونبي، ولكن لما كان كل رسول يأتي لقومه، فقد جعل الله إبراهيم عليه السلام إماماً للناس جميعاً، وليس فقط لقومه، فالبشرى في قوله: (للناس) الأمر الذي جعل إبراهيم أباً للأنبياء جميعاً عليه السلام.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكيف تكون الإمامة أعظم من الرسالة وهي قد تكون مطلباً لكل مؤمن؟!، قال تعالى: (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً) (سورة الفرقان: 52).

وأما الرسالة فلا تطلب أبداً، لأنها وهبية وليست كسبية.

وإعطاء الإمامة فضلة، وإعطاء الرسالة هو الهبة الكبرى التي ليس كمثلها هبة، قال تعالى: (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً، إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً) (سورة الجن: 24-25).

ولو أن ملكاً ـــ ولله المثل الأعلى ـــ وهب وزيراً له ضياعاً ومالاً، فهذه نعمة، ولكنها لا تساوي النعمة الأساسية وهي أنه استوزره ابتداءً من دون الناس، وكذلك الشأن في الرسالة، فإعطاء الرسالة لا يوازيه نعمة، والإمامة بعد ذلك فضل من الله تعالى!، ولكنها دون الرسالة، ويؤيد ذلك أن الله أعطاها لكثير من عباده، قال تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدىً لِبَنِي إِسْرائيلَ، جَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآياتِنَا يُوقِنُونَ) (سورة السجدة: 21-22). وأما الرسالة فهي لخاصة الخاصة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفيما يلي رسم توضيحي لعلاقة المصطلحات الأربعة: العبودية، والإمامة، والنبوة، والرسالة، بعضها ببعض:

مخطط يبين العلاقة بين المصطلحات الأربعة:
العبودية (الخلافة في الأرض)، الإمامة (الخلافة في استمرار)، النبوة، الرسالة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سابعاً: دراسة بعض الأحاديث التي تثير شبهة الوصاية

على الرغم من أن دراستنا قرآنية موضوعية صرفة، وقد آتت أكلها بإذن ربها، ولكن لا بأس من مناقشة بعض الآثار التي تثير شبهة الوصاية إتماما للفائدة:

أ- ورد حديث يشير إلى رغبة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بأن يوصي ثم ترك ذلك، فعن ابن عباس، قال: لما حُضر رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ، وفي البيت رجال، فيهم عمر بن الخطاب، فقال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ: (هلموا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده). فقال عمر: قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن، حسبُكم كتاب الله. فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ. ومنهم من يقول ما قال عمر. فلما أكثروا اللغط[118] والاختلاف، قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ: (قوموا عني). قال عبيد الله[119]: فكان ابن عباس يقول: إن الرزيئة كل الرزيئة ما حالَ بين رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وبين أن يكتبَ لهم ذلك الكتاب، لاختلافهم ولغطهم.[120]

يثير هذا الحديث عدة تساؤلات:

ــ فقد يُقال: لو أوصى لما اختلفت الأمة!.

والجواب: أنه قد أخبر في أحاديث كثيرة عن الفتن، ومقتل عثمان، وعلي، وعمار بن ياسر وغير ذلك، فكيف يوصي بأمرٍ يتفق عليه الناس، ويلغي ما كان قد أخبر من وقوع الفتن؟!.

ــ وقد يُقال: كيف يعترض عمر وبعض الصحابة على الوصية؟.

والجواب: هؤلاء وزراء الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ، وهم أدرى بالحالة التي رأوه عليها، فربما غلب عليه المرض لدرجة أنهم خشوا أن يكون قد تغير، والرسول ــ صلى الله عليه

---

118 – اللغط: الصوت الذي لا يفهم معناه.

119 – عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، أحد الفقعاء السبعة، من أهل الحديث.

120 – متفق عليه، انظر: مشكاة المصابيح، (1/3462-3461).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وسلم ـــ بشر، وقد يعتريه ما يعتري البشر من أسقام وأوجاع، قال تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً) (سورة الكهف: 330).

ـــ وقد يقال: لو أوصى لأوصى لرجل من آل بيته.

والجواب: أنه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ أزهد الناس في الدنيا حياً، فهل يطلبها لغيره ميتاً؟! حاشا وكلا!. ثم إن الخلفاء الراشدين لم يوص أحد منهم لآل بيته؛ أفيكونون زاهدين بالخلافة لأبنائهم، ويكون الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ راغباً بها لأقربائه؟ هل يعقل أن يسبقوا رسولهم ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ في زهده؟!.

ـــ وقد يقال: فماذا كان يمكن أن يوصي؟.

والجواب ـــ والله أعلم ـــ لو أوصى؛ لأوصى للخلفاء الراشدين بحسب ما جعل الله ترتيبهم بالخلافة[121]، فإرادة الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ تبع لإرادة الله الشرعية والقدرية، فلو كانت الوصية مكتوبة لما خرج فيها عن إرادة الله تعالى، فالذين أرادوا كتابة الوصية أرادوا تثبيت هذا كتابة، والذين رفضوا أرادوا تثبيت ذلك عن طريق الشورى، وفي كلا الاجتهادين خير، ولكن لما مضى رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ من دون وصية؛ علمنا أن هذا هو مراد الله تعالى، وأن هذا هو الصواب، فتثبيت مبدأ الشورى أهم من تثبيت منصب الخلافة لبعض أصحابه رضي الله عنهم أجمعين!.

وهكذا ناقشنا شبهة تشير إلى رغبة الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ بأن يوصي، ثم ترك ذلك، وقد رددنا هذه الشبهة من كافة جوانبها، وبينا أن ما حصل بعد وفاة الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ من الخلفاء الراشدين هو قدر الله تعالى، وأنه لو أوصى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ بالخلافة لأحد؛ لأوصى بها على هذا الترتيب الذي تم بعد وفاته ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ.

---

[121] – وإلى نحو هذا ذهبت عائشة رضي الله عنها، انظر: مشكاة المصابيح، (3524/1). الحديث: (4304).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ب– ما معنى الحديث الذي رواه سعد بن أبي وقاص ــ رضي الله عنه ــ قال: قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لعلي: (أنْتَ مِنّي بمَنْزِلَةِ هارُونَ مِنْ مُوسَى، إلاّ أنهُ لا نَبِيّ بَعْدِي).[122]

الجواب ماذكره الطيبي موضحاً وجه الشبه في هذا الحديث، حيث يقول: "يعني: أنت متصل بي ونازل مني مترلة هارون من موسى، وفيه تشبيه، ووجه الشبه منه مبهم، لم يفهم أنه ــ رضي الله عنه ــ فيما شبهه به ــ صلى الله عليه وسلم ــ فبين بقوله: (**إلاّ أنهُ لا نَبِيّ بَعْدِي**) أن اتصاله به ليس من جهة النبوة، فبقي الاتصال من جهة الخلافة؛ لأنها تلي النبوة في المرتبة، ثم هي إما أن تكون في حياته أو بعد مماته، فخرج أن تكون بعد مماته؛ لأن هارونَ ــ عليه الصلاة والسلام ــ مات قبل موسى ــ عليه الصلاة والسلام ــ فتعين أن تكون في حياته عند مسيره إلى غزوة تبوك".[123]

ويضاف إلى ما سبق أنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ شبه أبابكر بإبراهيم وعيسى عليهما السلام، وشبه عمر بموسى عليه السلام، وشبه عبد الله بن رواحة بنوح عليه السلام؛ وذلك لما استشارهم في مصير أسرى بدر[124]، والتشبيه هو من باب إلحاق الناقص بالكامل عند علماء البيان، ولا يدل على سوى الفضل لأصحابه بإلحاقهم بأشرف المرسلين، ولكن لا دليل فيه على الخلافة لأحد.

ثامناً: تأويل ما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم وأن الاختلاف قدر مكتوب عليهم!.

الصحابة رضي الله عنهم بشر ليسوا بمعصومين، ولكنهم هم الصفوة والنخبة، وقد قدر الله أن يقع بين بعضهم ما وقع من فتن بشأن الخلافة!، فقد ورد في الحديث: (إن الله زوى لي الأرضَ، فرأيتُ مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغُ مُلكها ما زُويَ لي منها، وأعطيتُ الكترينَ: الأحمرَ والأبيضَ، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يُهلكها بسنةٍ عامة، وأن لا يُسلط عليهم عدواً من سوى أنفسِهم؛ فيستبيح بيضتَهم، وإن ربي قال لي: يا محمد! إذا قضيتُ قضاءً فإنه لا يُرد،

---

122 – متفق عليه، ينظر: (المشكاة)، ج 1، ص (3537) الحديث رقم: (4056).

123 – ينظر: الكاشف عن حقائق السنن، (1662/32)..

124 – انظر: مختصر تفسير ابن كثير، للصابوني، (336/2). والسيرة النبوية، لابن هشام، (72/2).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وإني أعطيتكَ لأمتك أن لا أُهلكهم بسنةٍ عامةٍ، وأن لا أُسلط عليهم عدواً سوى أنفسهم فيستبيحُ بيضتَهم، ولو اجتمعَ عليهم مَن بأقطارها، حتى يكونَ بعضُهم يُهلكُ بعضاً، ويَسبي بعضهم بعضاً)[125]، ووقوع الفتن بينهم يلغي عصمتهم، ولا يدفع فضلهم وتقدمهم وجلالتهم، فينبغي الدعاء لهم، وذكرهم بالخير دائما، عملاً بقوله تعالى: (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْأِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) (الحشر:30).

كما أن وقوع الفتن بينهم هو مما يبدد فكرة الوصاية، إذ لو كان هنالك أثر واحد يحدد الخلافة لمن؟؛ لكانت قد أعطيت لمن عينه الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ، فقد أعطى الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ مفتاح الكعبة لعثمان بن طلحة[126]، وهو باق مع بني شيبة حتى اليوم وإلى قيام الساعة، لم يترعه منهم أحد، والصحابة أسرع الناس امتثالاً لأمر الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ، وكيف لا يمتثلون أمره، وقد قرؤوا قول الله تعالى: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (آل عمران:13)، وقوله عز شأنه: (فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً) (النساء:43).

فإن قيل: فلماذا ندعو للوحدة الإسلامية بعد هذا الحديث الذي يؤكد أن الخلاف واقع؟.

الجواب: الوحدة الإسلامية أمر مقرر من الله تعالى، قال تعالى: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (سورة الأنفال: 24). وقال تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (سورة آل عمران: 301). وكون الخلاف مقدر، فهذا لا يلغي أهمية الوحدة والحوار الداخلي الإسلامي، وسنة الله تعالى أن يختلف الناس في أمور دينهم ودنياهم، كما قال تعالى: (إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى) (سورة الليل: 2). وجميع الأمم تقع فيها

---

[125] – رواه مسلم عن ثوبان، انظر: مشكاة المصابيح، (3402/1).

[126] – انظر: مختصر تفسير ابن كثير، للصابوني، (204/3).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خلافات وحروب أهلية، ثم يتصالح الناس ويتفقون كما هو الحال في الاتحاد الأوربي!، ولذلك لا ينبغي أن نترك الجراح تترف للأبد!.

لا بد من إطار عام يضم المسلمين جميعاً، ثم نترك ما وقع من خلاف وفتن بين السلف إلى الله تعالى يحكم بينهم يوم القيامة!، وأما أن نتعارك فيما بيننا، فلن يستطيع فريق أن يقضي على الآخر، ولكن سيستطيع المتربصون بهذه الأمة أن يقضوا على الفريقين معاً والعياذ بالله من ذلك!، وإنما يتم هذا الأمر إذا بقي التناحر والخصام قائمين، وحسبنا الله ونعم الوكيل!.

تاسعاً: الخلفاء جميعاً على صلة قرابة بالرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ.

الخلفاء بعد الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ سادة فضلاء، وهم غرر الدهر وأعيان البشر، وهم أقرباء للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ، فقد تزوج الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ عائشة بنت أبي بكر الخليفة الأول، و لم يكن يعرف الغار يوم الهجرة ويقوم على خدمة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وصاحبه إلا أسرةُ الصديق، فهي أسرة مختصة بسره الأعظم يوم الهجرة، و تزوج ــ صلى الله عليه وسلم ــ حفصة بنت عمر الخليفة الثاني، وزوج ابنته رقية لعثمان الخليفة الثالث؛ فلما ماتت زوجه أختها أم كلثوم، وزوج فاطمة لابن عمه علي الخليفة الرابع، وتزوج أم حبيبة بنت أبي سفيان، وهي أخت معاوية أول خليفة أموي، والخلفاء كلهم يلتقون مع الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ في نسبه الشر يف، فهم أبناء عمومته، ولكن بعضهم أشد قرباً من الآخر، كما تشير إلى ذلك شجرة النسب الزكية الآتية:[127]

---

[127] – أخذنا نسب الرسول صلى الله عليه وسلم من السيرة النبوية لابن هشام، (3/5-33). ونسب الخلفاء من كتاب تاريخ الخلفاء، للسيوطي، ص (14، 303، 316، 333، 363).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شجرة النسب الشريف للرسول ﷺ والخلفاء الخمسة من بعده رضي الله عنهم

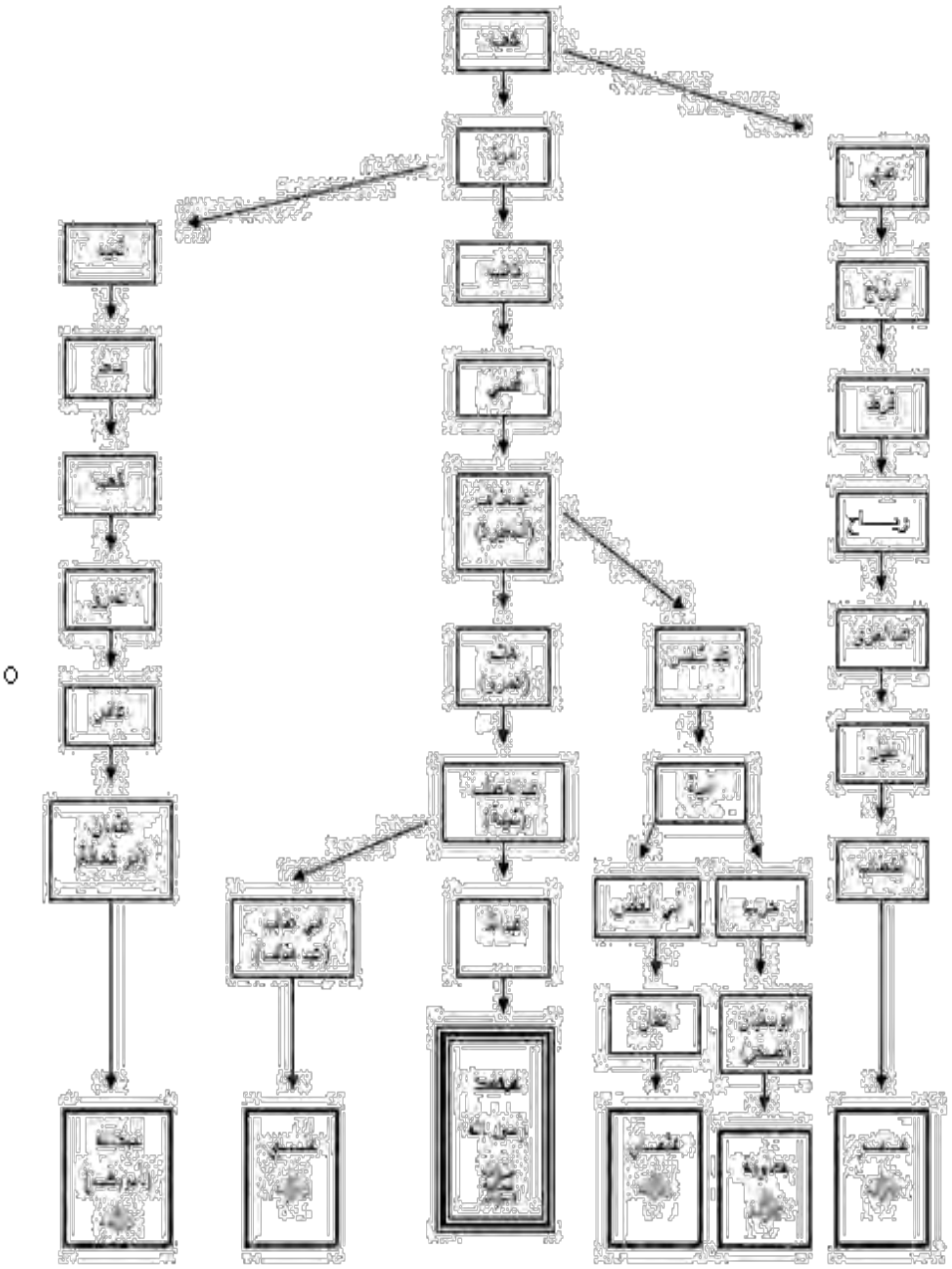

ملاحظة: تكملة النسب الشريف..وكعب هو ابن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة (عامر) بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.. وينتهي نسب عدنان إلى اسماعيل بن إبراهيم -عليهما السلام-.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وخلاصة هذا المبحث:

درسنا دور الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ في النظام الإسلامي، فهو نبي عبد، وليس نبياً ملكاً، فهو لا يورث من جهة النبوة ولا من جهة الولاية.

والدعوة إلى الله تعالى مجانية بلا مقابل دنيوي، وهذا منهج الأنبياء والمرسلين جميعاً، ونبهنا إلى أن آية الشورى وآية المودة في القربى كلتاهما في سورة الشورى، وجاءت آية الشورى عقب آية المودة في القربى بخمس عشرة آية!، مما يشير أن المودة لا تعني تولي الحكم والرئاسة، وإلا لبطل معنى الشورى مع وجود من سيملأ الفراغ القيادي عند وفاة الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم، وعليه فلو اختار المسلمون أحداً من الصحابة لمنصب الخلافة فلهم ذلك، ولو اختاروا أحداً من قرابة رسولهم ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ فلهم ذلك، ولكن ليس لزاماً عليهم أن يختاروا أحداً من قرابته ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ.

و ذكرنا بعض القرائن قرآنية التي تمنع من الغلو، فالرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، يُبلغ عن ربه عز وجل، وهو لا يعلم الغيب مطلقاً، فلا ينبغي الغلو بشخصه الكريم، ولا بآل بيته الأطهار، ولا صحابته الأبرار، فأصل الدين توحيد الله تعالى، والتوجه إليه وحده بالعبادة والدعاء، فلا ينبغي العدول عن هذا، أو نسيانه؛ ليصبح الدين كله غلواً في محبة الآل والأصحاب!، مما قد ينحرف عن مقاصد الشريعة الإسلامية أساساً.

وبينا أن القرآن الكريم لم يشر إلى خلافة الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ تماشياً مع مبدأ الشورى الذي دعا إليه.

وناقشنا فكرة من يستحق المُلْك في الدنيا؟، فهو للمؤمن وغيره، وأما ثواب الآخرة فهو خاص بأهل الإيمان.

ووضحنا العلاقة بين النبوة والرسالة والإمامة؟، وبينا أن مرتبة الرسالة أعلى من النبوة، ومرتبة النبوة أعلى من الإمامة.

ودرسنا بعض الأحاديث التي تثير شبهة الوصاية، وبينا أنه لا وصاية تماشيا مع القرآن الكريم!.

وتناولنا تأويل ما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم وأن الاختلاف قدر مكتوب عليهم؛ مما يبدد فكرة الوصاية، إذ لو أوصى لتم الالتزام بالوصية و لم يقع الشجار.

وختمنا بالحديث عن أن الخلفاء جميعاً على صلة قرابة بالرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، فكلهم سادة فضلاء، غرر الدهر وأعيان البشر.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الخاتمـــة

ونذكر فيها موجز البحث ثم النتائج والتوصيات

أولاً: موجز البحث:

تناولنا في هذا البحث الموسوم بـــ: (الخلافة بعد الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ: شورى أم وصاية: دراسة قرآنية) مقدمة، وعشرة مباحث، وفق الآتي:

المقدمة:

بينا فيها أن الله تعالى أمر المسلمين بالوحدة، ونهاهم عن التشرذم والفرقة، وذكرنا أن هذه الأمة خير الأمم، ولكنها ليست مستثناة من سنن الله تعالى في النفس والتاريخ والحياة، فقد اتبعت سنن من قبلها من الأمم، ووقعت فيها الفرقة منذ القرن الأول للرسالة، وكانت الخلافات سياسية في البداية، وتحولت مع مرور الزمان إلى خلافات عقيدية متجذرة، ولا عيب في اختلاف العقائد والأفكار، فالتنوع فسيفساء فكرية تثري الحياة الاجتماعية، شريطة أن لا يتحول التنوع إلى صراع دموي، يفقد الأمل ويدمر الحياة...

وقد رأينا لتقريب وجهات النظر بين فريق الأكثرية (الجمهور)، وفريق الأقلية (المعارضة): أن نقيم دراسة بحثية تعتمد على القرآن الكريم أساساً، وتجتنب ما اختلف عليه من السنة، لأن في السنة أحاديث كثيرة مشتركة في التشريع والحكام، وهناك قسم مختلف عليه في الفضائل، والمشكلة في هذا القسم الأخير، فكل فريق يشكك في معظم الأحاديث المروية عند الآخر أو كلها، ولذلك لا تقام البحوث إلا على أساسٍ مشترك، ولما كان القرآن موضع اتفاق بين الجميع؛ فقد عدنا إليه معتمدين على دراسة تحليلية لآياته، من غير تفسير ولا تأويل، وذلك لأن التأويل أيضاً يجعلنا نصرف الآيات لحساب معنى دون غيره، أو شخصٍ دون آخر، فتابعنا الآيات على ظاهرها ودلالتها المباشرة، وعرضنا بعد ذلك منهجنا في تقسيم هذا البحث.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الأول

المدخل إلى الإيمان والسعادة الأبدية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مجموعة آيات تتحدث عن صفات المؤمنين التي تؤهلهم لدخول الجنة

درسنا فيه السبيل للوصول إلى الجنة والنعيم الخالد، من خلال آيات القرآن الكريم، فوجدنا منها: آيات تجمع بين الإيمان والعمل الصالح والسلوك القويم، وهنالك آيات تبين صفات أهل الجنة النفسية الإيمانية، وآيات أخرى تبين أعمال أهل الجنة، وتوجد آيات تبين سلوك أهل الجنة، وكذلك آيات تبين طريق الجنة بصورة عامة، وبعد استعراض كثير من هذه الآيات؛ صنعنا جدولاً يلخص صفات أهل الجنة العقدية والتعبدية والسلوكية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

ولدى التأمل في صفات المؤمنين التي وردت في كتاب الله العظيم، نجد أنها تنطبق على الصحابة جميعاً رضي الله عنهم، فهم الجيل الأول المعني بها مباشرة، وهم صفوة هذه الأمة وسادتها وغررها، وليس بين هذه الصفات كلها أنهم يؤمنون بشخصٍ معين يكون وصياً عليهم بعد الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، فالأمر شورى كما أكدته سورة الشورى، وقد كان الصحابة ـــ رضي الله عنهم ـــ على حق في توليتهم للخلفاء الراشدين، ولا تجتمع هذه الأمة على ضلالة!.

المبحث الثاني: مجموعة آيات تتحدث عن أن الجزاء من جنس العمل

وجدنا أن الأساس في الإسلام هو العمل، فكل إنسان مسئول عن عمله، والجزاء من جنس العمل، وقد جعل الله تعالى جزاء المؤمنين الحسنى، وجزاء الكافرين العذاب الخالد.

وناقشنا هنا بالتفصيل موقف الدين من مسألة القرابة، وهل تنفع القرابة في الآخرة؟. وبينا شرط نفعها أن تقترن بالإيمان والعمل الصالح، وهي قد تنفع المؤمنين فيما بينهم.

وتحدثنا عن ميزان الله وهو ميزان عادل مستقيم، وعرضنا بعد ذلك لمسألة الشفاعة؛ فهي عامة للمؤمنين، وليس من الضروري أن تُقبل لكل واحد، وعليه لا ينبغي التعويل عليها من دون إيمانٍ وعمل صالح، فهذا ضرب من المحال!.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الثاني

فضائل الجيل الأول من آل البيت والصحابة رضي الله عنهم

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مجموعة آيات تتحدث عن آل البيت رضي الله عنهم

ذكرنا أن مصطلح آل البيت له أكثر من دلالة، فهو بالمعنى العام: كل من آمن بالنبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، وأما المعنى الخاص، فهم: نساء النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وأولاده وبناته، وكذلك أحفاده وأصهاره أو بعضهم، ثم أعمامه وأبناؤهم[128]، وهؤلاء لا تحل لهم الصدقة.

وتناولنا في هذا المبحث بعض ما ورد من نصوص تحدثت عن نساء النبي أمهات المؤمنين وسيدات بيت النبوة، وعتاب الله لبعض نساء النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، وقصة المباهلة وآل البيت، ودفاع الله تعالى عن آل البيت، وتبين أنه لا وراثة للنبوة، فآل البيت ليسوا بأنبياء، وليسوا ملوكاً لأن النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ ليس ملكاً فيورث، وقد خيره ربه في حياته بين أن يكون نبياً عبداً، أو نبياً ملكاً، فاختار أن يكون: (نبياً عبداً).

وذكرنا بقاء النسب الشريف من السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها وأرضاها، وتبين لنا أن آل البيت الأطهار هم أشرف الناس، وشرفهم العظيم لا يعني تفضيلهم على من سواهم من كبار الصحابة، لأن الله تعالى حدد التفضيل بالتقوى وحدها!.

المبحث الثاني: مجموعة آيات تتحدث عن الصحابة إجمالاً رضي الله عنهم

ورد في القرآن الكريم حديث متكرر عن الصحابة، المهاجرين منهم والأنصار، حيث يثني ربنا تبارك وتعالى عليهم جميعاً، ويذكر رضاه عنهم، ورضاهم عنه، وما أعد لهم من الجنات والنعيم الخالد، ويذكر مساعدته لهم في الأوقات العصيبة من معارك غير متكافئةٍ، يُفترض ـــ بالمقاييس المادية ـــ أن تكون الغلبة لعدوهم، ولكن الله تعالى أمدهم بالملائكة تثبتهم، وبالماء يطهرهم، وبالسكينة في المواقف التي تتزلزل فيها الأقدام... ولا عجب في ذلك، فهم جنده الذين أيد الله تعالى بهم نبيه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، وقد شهد الله لهم بالإيمان، وهم عباده

---

128 – حددهم زيد بن أرقم رضي الله عنه بآل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس، والله أعلم. انظر: مختصر تفسير ابن كثير، (1/72-73).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المؤمنون المخلصون، و قد ذكر صفتهم في الكتب السابقة لكمال عنايته بهم، وأشاد بأدبهم مع النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، وذكر فضله ـــ سبحانه ـــ عليهم رضي الله عنهم جميعاً، ولكنه لم يذكر من سيكون منهم خليفة رسوله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ.

وأشرنا إلى أن كل آية في فضل الصحابة تشمل آل البيت، لأنهم جزء من الصحابة، ولعل هذا ما يفسر لنا قلة الآيات في الإشادة بآل البيت، وكثرة الآيات التي أشادت بالصحابة!.

المبحث الثالث: مجموعة آيات تتحدث عن مواقف بعض المؤمنين من الصحابة رضي الله عنهم

ليس ثمة شيءٍ أدل على عظم مترلة هؤلاء الأصحاب عند الله تعالى من أن يترل الوحي على رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ بشأن بعضهم أحياناً، إما مادحاً لأحدهم على سلوك فعله، أو مشيداً بفضله، أو تائباً عليه، أو مصوباً عمل امرأةٍ منهم، أو مادحاً من أسلم من أهل الكتاب، أو آمراً رسوله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ بمبايعة نسائهم، أو مبرئاً لأحدهم من بهتان، أو مصححاً وموجهاً لبعض شئونهم الأسرية، ومشكلاتهم الزوجية، أو مصوباً عملهم في الجهاد، أو راثياً لشهدائهم رضي الله عنهم وأرضاهم... فهناك مواقف كثيرة جداً نزل فيها القرآن بشأن حوادث تتعلق بأفراد معينين منهم، وقد اخترنا بعض الآيات المتفق عليها بشأن من نزلت فيهم، وذلك من أجل تقديمها كنماذج تدل على عناية الله المجملة والتفصيلية بكل شأن من شئون الأصحاب الكرام، فهو دائماً يُعدهم ويقومهم ويسددهم، حتى أصبحوا بفضله خير جيلٍ عرفته البشرية عبر تاريخها الطويل.

الفصل الثالث

ملابسات الانطلاقة الإسلامية العالمية الأولى

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: مجموعة آيات تتحدث عن قريش ومكة

من مكة بزغت شمس الإسلام، وفي قريش بُعث محمدٌ رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، وفي هذا تكليف للعرب بحمل الرسالة، فإن حملوها بحقٍ؛ كانت لهم فخراً في الدنيا، وعزاً وفوزاً في الآخرة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد تناولتْ بعضُ الآيات المجتمع المكي، وبعض أفراده، وذكر القرآن كثيراً من مواقف المشركين من أهل مكة، ومعتقداتهم وأحوالهم النفسية والفكرية والعقدية، والاجتماعية والاقتصادية، وغير ذلك... وناقشهم في شبهاتهم حول الدعوة، ودعاهم للإيمان، وتوعدتْ سورة كاملة أقرب المقربين إلى النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ، وهو عمه أبو لهب مع زوجته.

واهتمتْ الآيات المكية ببناء عقيدة التوحيد، وبيان العبادات، وتحصين المؤمنين بالسلوك الحسن، واجتناب المحرمات.

المبحث الثاني: مجموعة آيات تتحدث عن أهل المدينة

ذكرنا أن المدينة المنورة كانت أول عاصمةٍ إسلامية في تاريخ هذه الأمة، وتم فيها تكوين نواة أول مجتمع إسلامي، يتكون من خليط من المهاجرين والأنصار الذين ينتمون لقبائل متعددة، ويلحق بهم أفراد من الروم والفرس والحبشة وغيرهم، ويتعايش مع هذا المجتمع مجموعات من أهل الكتاب، وعدد من المنافقين، وبقايا من المشركين الذين لم يدخلوا الإسلام من أول الأمر، ودخلوا به بعد ذلك.

لقد كان مجتمع المدينة يشبه الحكم الفيدرالي، الأكثرية فيه تدين بالإسلام، مع احترام حقوق الأقليات المتواجدة والتي لا تدين بالإسلام، والرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ هو مرجعية الجميع، وكان بمثابة رئيسٍ لدولة المدينة...

وقد أشاد القرآن بأهل المدينة الصالحين وهم الأنصار الذين استضافوا إخوانهم المهاجرين، كما تحدث عن أهل الكتاب، والمنافقين، والأعراب، والغزوات، وبعض الأحداث والمشكلات التي واجهت مجتمع المسلمين في المدينة، ونزلت آيات فيها كثير من التشريعات المتعلقة بالمسائل الدينية والدنيوية، وذلك كي تنظم حياة المسلمين بالمدينة، ولكن ليس من بينها آية واحدة تتحدث عن كيفية انتقال السلطة بعد وفاة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ، أو تحدد الشخص الذي تُنقل إليه تلك السلطة، وهذا ما يعزز تصور الإسلام للحكم على أنه شورى، وليس ولاية أو وصاية يتلقاها أحد الأصحاب المقربين من رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ.

المبحث الثالث: مجموعة آيات تتحدث عن أهل الكتاب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تحدثتْ آياتُ القرآن كثيراً عن أهل الكتاب، فذكرت شيئاً كثيراً من قصصهم وأخبارهم وأحوالهم مع أنبيائهم، وأنكرت على من تلاعب منهم بكلام الله تعالى!، أو قام بتحريفه في سبيل مصالح دنيوية عاجلة!، وتحدثت عن رغبة كثير منهم في ردة المسلمين.

وأثنت آياتُ القرآن على الصادقين من علمائهم الذين شهدوا لله بالوحدانية، وللنبي الخاتم بالرسالة، فالمؤمنون من أهل الكتاب شاهد حيادي بالنسبة لقريش والعرب عموماً، ولم يرد عنهم، أو في كتبهم؛ بأن الخلافة بعد رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ هي لأحد بعينه، قد أوصى له الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ.

وقد بايع المؤمنون من أهل الكتاب الخلفاءَ الأربعة، ولم يرد عنهم أي طعنٍ أو إساءة لكبار الصحابة رضي الله عنهم، فإذا كان الله تعالى قد قبل شهادتهم بنبيه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، أفلا نقبل شهادتهم في كبار الصحابة؟، وقد بايعوهم على السمع والطاعة، وكانوا لهم جنداً طائعين، وأعواناً مخلصين؟.

المبحث الرابع: مجموعة آيات تتحدث عن انتصار الإسلام والتمكين له في الأرض

جاء الإسلام غريباً في بيئة وثنية، فحاربه المشركون بكل وسيلة، وسلكوا لصده كل أسلوب... ولكن المؤمنين ثبتوا، وقد نصرهم الله تعالى بعد صبرهم وجهادهم، ففتحوا مكة التي كانت معقل الشرك والمشركين، وفتحوا من ورائها معظم أصقاع العالم.

إن هذا الدين هو منهج الله في أرضه، ولا يقبل ديناً سواه، وقد وعد الله بنشره ونصره، وقد تم لله ما أراد، وذلك بواسطة هؤلاء الأصحاب رضي الله عنهم، الذين حملوا دينه عقيدةً وشريعةً ونظام حياة، وبذلوا في سبيله مهجهم وأرواحهم، فكيف يروق للبعض أن يُقر بأن الإسلام قد انتصر، وأن نوره يملأ الآفاق، ثم يغمز ويلمز بمن نصروه وضحوا في سبيله؟. وينسب إليهم ما لا يقبله عقل ولا دين؟.

ثم هل يُعقل أن يوصي الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ بالخلافة لأحد، فيتم التواطؤ ضده؟!، وتكون لغيره، والصحابة رضي الله عنهم هم أحرص الناس على الاتباع لا الابتداع، وقد زكاهم القرآن الكريم، وكانوا من الشجاعة بحيث لا يأبهون بالموت، فضلاً عن أن يخافوا من سلطان أحدٍ غير خالقهم عز وجل؟!، وهم ليسوا طلاب دنيا أبداً!، حتى ينقلب بعضهم على بعض، إنهم تربية رسول أمين ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الرابع: تأملات في نظام الحكم الإسلامي والشورى والوصاية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مجموعة آيات تتحدث عن نظام الحكم والسياسة الشرعية

هذا المبحث أهم مباحث هذه الدراسة، تتبعنا فيه التصور الإسلامي لنظام الحكم والسياسة الشرعية، فوجدناه ينطلق من أن الله هو الذي يشرع لعباده أمور دينهم ودنياهم، والملك لله يضعه حيث يشاء، والعدل أساس الملك، وللعدل ثلاث صور وضحناها، ويتجه التصور الإسلامي إلى وجوب طاعة الحاكم في غير معصية، ويحدد مرجعية أولي الأمر، وهم العلماء والحكام.

وتحدثنا بعد ذلك عن السلم الاجتماعي وهو من واجبات السلطة، فالمجتمع الإسلامي مجتمع متآخٍ متآلف متواد متحاب، وقد أعلنت الآيات القرآنية المساواة والتآخي بين جميع البشر، فهم أسرة واحدة، والتنوع هدفه التعارف والتبادل في المصالح والمعرفة الإنسانية، وأفضل الناس عند مليكهم أتقاهم، وقد نهت الآيات الكريمة عن كل الظواهر السلبية التي تفكك وحدة الأمة وتمزقها.

وتناولنا أهمية الحكم بشريعة السماء، لأن الإسلام دين ودولة، شأنه في ذلك شأن الشرائع السماوية السابقة، وقد جاء بتشريع يشمل الاثنين: الدين والدولة، وأما السلطة التنفيذية والسلطة القضائية فأمرهما موكول للناس، يختارون الطريقة التي تناسبهم لتنظيمها في كل زمان ومكان، وهذا معنى صلاحية الشريعة لكل عصر ومصر.

وذكرنا انطلاق الحكم الإسلامي من قاعدة الشورى، والله عز وجل هو الذي أمر بالشورى، وهذا ينسجم مع نظرة الإسلام للناس على أنهم أسرة واحدة، متساوون فيما بينهم، فلا تفضيل لأحد على آخر إلا بعمله لا بنسبه.

وقررنا أن الشورى والوصاية كالضدين، فطالما أن الأمر شورى كما نصت على ذلك آية الشورى التي سميت السورة كلها باسمها، فهذا يدل دلالة قاطعة على أنه لا وصاية لأحد بعينه بعد رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، ولا توريث كذلك، لأن التوريث قد يتنافى مع نزاهة الرسالة المجانية، وعدل الإسلام وسماحته ومساواته بين الناس!.

ثم ختمنا الحديث عن سنن الله في الحياة والتغيير، لنثبت من ذلك كله أن الملك لله تعالى، وأن بقاء الحال من المحال، فذكرنا أن سنة الله في التغيير تبدأ في النفوس وتنتهي بالواقع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والمجتمعات، وبينا أن هلاك المدن وأصحابها، وزوال الأمم والحضارات، هو بسبب المترفين الذين يشيعون الفساد والشهوات والأهواء، فيترل الله العقاب بالجميع، وأحد أهم أسباب الهلاك والفسق والفساد هو الظلم، وقد ذكرنا أهم صوره.

وما دامت الأيام دولاً، فقد نفى الله الملك عن آل بيت نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ، فهم ملوك القلوب والأرواح، إن كان غيرهم قد ملك الأجسام والأشباح؛ وذلك خير لهم من أن يتآمر الناس على ملكهم، فيقعون في معارك هم بغنى عنها.

المبحث الثاني: هل أوصى الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالخلافة لأحد من بعده؟

درسنا دور الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ في النظام الإسلامي، فهو نبي عبد وليس نبياً ملكاً، فهو لا يورث من جهة النبوة ولا من جهة الولاية.

والدعوة إلى الله تعالى مجانية بلا مقابل دنيوي، وهذا منهج الأنبياء والمرسلين جميعاً، ونبهنا إلى أن آية الشورى وآية المودة في القربى كلتاهما في سورة الشورى، وجاءت آية الشورى عقب آية المودة في القربى بخمس عشرة آية!، مما يشير أن المودة لا تعني تولي الحكم والرئاسة، وإلا لبطل معنى الشورى مع وجود من سيملأ الفراغ القيادي عند وفاة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ.

و ذكرنا بعض القرائن قرآنية التي تمنع من الغلو، فالرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، يُبلغ عن ربه عز وجل، وهو لا يعلم الغيب مطلقاً، فلا ينبغي الغلو بشخصه الكريم، ولا بآل بيته الأطهار، ولا صحابته الأبرار، مما قد ينحرف عن مقاصد الشريعة الإسلامية أساساً.

وبينا أن القرآن الكريم لم يشر إلى خلافة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ تماشياً مع مبدأ الشورى الذي دعا إليه.

وناقشنا فكرة من يستحق المُلْك في الدنيا؟، فهو للمؤمن وغيره، وأما الآخرة فهي لأهل الإيمان.

ووضحنا العلاقة بين النبوة والرسالة والإمامة؟، فمرتبة الرسالة أعلى من النبوة، ومرتبة النبوة أعلى من الإمامة.

ودرسنا بعض الأحاديث التي تثير شبهة الوصاية، ووجدنا أنه لا وصاية تماشيا مع القرآن الكريم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وتناولنا تأويل ما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم، وأن الاختلاف قدر مكتوب عليهم؛ مما يبدد فكرة الوصاية!.

وختمنا بالحديث عن أن الخلفاء جميعاً على صلة قرابة بالرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، فهم غرر الدهر وأعيان البشر.

***

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثانياً: النتـــــــــائـــــــــج

فيما يأتي نوجز اهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال البحث:

أ- الناس جميعاً سواسية أمام ميزان الله، ولا فضل لأحد على آخر إلا بالتقوى، وليس بالنسب.

ب- فائدة الأنساب ثانوية، والفائدة الجوهرية للإيمان والعمل الصالح، وفي مواقف يـــوم القيامة لا تنفع الأنساب وإنما الأعمال الصالحة.

ت- النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ ليس أباً لأحدٍ من الرجال، وهو خاتم النبيين، فلا وحي بعده يترل على أحد، لأن الوحي لا يترل إلا على الرجال.

ث- آل البيت هم زوجات الرسول وأولاده وبناته ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، وقـــد يدخل بعض أصهاره أو كلهم، ثم أبناء عمه ممن لا تحل لهم الصدقة.

ج- لا يعني الانتساب لنبي ما أن يكون المنتسب صالحا، فقد كان بعض زوجات وأبناء الرسل فيما سبق عصر الرسالة من الكافرين.

ح- الأرض لا تقدس أحداً، ولكن ما يرفع المرء ويخفضه هو عمله.

خ- دخول الجنة والنجاة من النار يقوم على مجموعة من العقائد والأعمال والسلوكيات الصالحة، ليس من بينها الولاء لإنسان بعينه غير النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ.

د- الطاعة واجبة لله ـــ سبحانه وتعالى ـــ وللرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وأولي الأمر أيا كانوا.

ذ- دخول الجنة ليس محصوراً بعددٍ محدد، أو جنسٍ معين، وإنما كل من آمن وعمـــل صالحا فهو مرشح لدخولها بفضل الله وكرمه وإحسانه.

ر- الولاء لآل بيت النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ واجب، ويكون بالمحبة الصادقة، والطاعة بالمعروف، والذود عنهم، شأنهم في ذلك شأن عامة المؤمنين، مع زيـــادة الاحتفـــاء والتوقير والمحبة لهم، فهم السادة الغرر، ولكن ليس في القرآن ما يوجب الولاء لبيت معين ينبغي أن يتولى أهله الرئاسة إلى يوم القيامة!.

ز- العلاقة بيين آل البيت والصحابة ـــ رضي الله عنهم ـــ علاقة مودة ورحمة وتكامل في عمومها، لا علاقة صراع وبغض، وما جرى بين بعضهم البعض من حروب وفتن في بعض

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفترات، فأمرها موكول إلى الله تعالى يحكم بينهم يوم القيامة، ونحن نعتقد أن الجميع مجتهدون معذورون ناجون عند الله سبحانه وتعالى!.

س- جاء الثناء على الصحابة ـــ رضي الله عنهم ـــ في مواضع متعددة من القرآن الكريم، وعلى آل البيت في آية واحدة، والمقصود منها في السياق زوجاته ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، ولا عجب في ذلك، فآل البيت جزء من الصحابة، فهناك عموم وخصوص، وكل خاص هو جزء من العام.

ش- ما أثنى به الله تعالى على آل البيت من إذهاب الرجس عنهم، وتطهيرهم رضي الله عنهم، أثنى به أيضاً على المؤمنين فقد أذهب الرجس عنهم، وطهرهم رضي الله عنهم، وما خص الله ـــ تعالى ـــ به نبيه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ من صلاته وصلاة ملائكته عليه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ؛ خص به الصحابةَ وكافة المؤمنين أيضاً، قال تعالى: (هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً) (سورة الأحزاب: 21).

ص- بشر القرآن بأن الناس سيدخلون في دين الله أفواجاً، و لم يقل إنهم سيرتدون أفواجاً بعد وفاة النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، لأنه لا معنى عند ذلك لهذا الفتح والنصر؛ إذا كان سيعقب ذلك ردة، فهو كفرحة عرس يعقبها مأتم، أي فرحة ناقصة لم تكتمل، وهذا التصور لردة جمهور الصحابة ـــ وحاشاهم من ذلك ـــ يتناقض مع نصوص كثيرة، أكدت أن الله تعالى سيمكن في الأرض للمؤمنين، وسيعم نور دينه في المشارق والمغارب، وقد تم هذا، فكيف انتشر الدين إذا كان السابقون الأولون قد ارتدوا؟. هل تستطيع أسرة واحدة أن تفعل هذا كله بمفردها؟ لولا أن الله أمد دينه بجماهير العرب!؟.

ض- وردت صفة الصحابة والثناء عليهم في التوراة والإنجيل، وأن الله يغيظ بهم الكفار، فكيف يغيظ بهم الكفار إذا ارتدوا؟. حاشاهم مما يُرمون به من بهتانٍ ونقائص، رضي الله عنهم وأرضاهم، فهم جميعاً عدول، وهم حملة الرسالة وجند الله تعالى!.

ط- هنالك آيات تحدثت عن فضائل بعض الصحابة ـــ رضي الله عنهم ـــ وبعض المؤمنين من أهل الكتاب، وشهدت لهم بالأجر والجنة وحسن الثواب، فكيف يجوز وصفهم بالردة بعد ذلك؟.

ظ- القول بردة جماهير الصحابة ـــ رضي الله عنهم ـــ بعد وفاة النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ يعني إخفاق الدعوة، وهو أمر مستحيل!، فالداعي محمد ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وصاحب الدعوة هو الله رب العالمين، وهو الذي حماها ورعاها بهؤلاء المؤمنين الذين اختارهم لنبيه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، مثلما اختار أيضاً نبيه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ لهدايتهم وإرشادهم.

ع- لا عصمة لأحد غير الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، وقد تقع الفتنة بين المؤمنين، فهم بشر وليسوا ملائكة!، لذا ينبغي في هذه الحالة الإصلاح بين المؤمنين أو اعتزال الفتنة، وأما من جاء بعد عصر الفتنة فيستغفر للجميع، ولا يجعل نفسه حكماً في أمور ووقائع لم يشهدها، قال تعالى: (وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً) (سورة الإسراء: 14).

غ- نعتقد جازمين أن الذنوب والخطايا لا تخرج الإنسان من الإيمان، وأن جميع الصحابة ناجون يوم القيامة، قال الشعبي معقباً على ما حدث يوم صفين: "هم أهل الجنة، لقي بعضهم بعضاً، فلم يفر أحدٌ من أحد".[129]

ف- إن الله تعالى يهب الملك لمن يشاء، ولذلك لم يحدد الملك بأسرة معينة، تحكم المسلمين في كل أقطار الأرض إلى يوم القيامة!.

ق- نظام الحكم في الإسلام شورى ينفذها المسلمون بأية طريقة تروق لهم، وهذا معنى صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان، والخلافة هي المنهج الأقوم، ولكن ليس المهم شكل الحكم بقدر ما يهم جوهره، وهو أن يحكم الحاكم بالقرآن، ويقيم العدل بين الناس.

ك- ما يهم الإسلام هو القيم الدينية والإنسانية التي تحكم من عدالة ومساواة وإقامة الحدود، لا أن يحكم شخص معين جمهور المسلمين، فالقرآن لا يبحث عن الشكليات؛ وإنما عن المضون والجوهر، وهذه نظرة متحضرة سبق بها القرآن أرقى أمم الأرض في عالمنا المعاصر عندما سمحت لأشخاص متجنسين أن يحكموها، و لم تشترط في الحاكم أن يكون من عرق معين، أو من نسب معين.

ل- إن قريشاً جميعاً أقرباء للنبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، وذلك كما ذكر ابن عباس رضي الله عنه، فالمودة في القربى تعني أن يحبوه لأنه قريبهم؛ وهذا هو الوجه الراجح في تفسير الآية المتعلقة بالقربى، وقد تعني أن نحب قريشاً لأنهم أقرباؤه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، وتكون المحبة للجميع معاً، وقد تكون بدرجات متفاوتة، ولا تعني المحبة البيعة والرئاسة؛ فالحب

---

[129] – البداية والنهاية، (267/5).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هو الحب!، عاطفةٌ في القلب، وبسمة في الوجه، ودمعة في العين، وكلمة طيبة... والسياسة والولاية والحكم هي أشياء أخرى، وليس كل من نحبه نوليه رئاستنا، لأن هذا يقتضي أن يكون هنالك رؤساء للعالم بعدد سكانه، وهذا مستحيل!.

م- التوريث لشخص ما من أقرباء النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ؛ قد يتنافى مع نزاهة الرسالة المجانية وسموها وعدلها، والتوريث عموماً يكون لمصلحة دنيوية، والأنبياء أبعد الناس عن الدنيا!، وقد يكون فيه مصلحة للمُلك أو الناس، ولكنه ربما خرج عن منهج الشورى والعدل!، والعدل في الإسلام مطلوب، لأن البشر سواء في ميزان الله تعالى، وأكرمهم عنده أتقاهم له، والتقوى لا علاقة لها بالأنساب، ولذلك جعل الله تعالى آل البيت هم ملوك القلوب والأرواح، إن كان غيرهم قد ملك الأجسام والأشباح!. درسنا دور الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ في النظام الإسلامي، فهو نبي عبد وليس نبياً ملكاً، فهو لا يورث من جهة النبوة ولا من جهة الولاية.

ن- الدعوة إلى الله تعالى مجانية بلا مقابل دنيوي، وهذا منهج الأنبياء والمرسلين جميعاً، ونبهنا إلى أن آية الشورى وآية المودة في القربى كلتاهما في سورة الشورى، وجاءت آية الشورى عقب آية المودة في القربى بخمس عشرة آية!، مما يشير أن المودة لا تعني تولي الحكم والرئاسة، وإلا لبطل معنى الشورى مع وجود من سيملأ الفراغ القيادي عند وفاة الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ.

ه- القرائن القرآنية تمنع من الغلو، فالرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، يُبلغ عن ربه عز وجل، وهو لا يعلم الغيب مطلقاً، فلا ينبغي الغلو بشخصه الكريم، ولا بآل بيته الأطهار، ولا صحابته الأبرار، مما قد ينحرف عن مقاصد الشريعة الإسلامية أساساً.

و- القرآن الكريم لم يشر إلى خلافة الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ تماشياً مع مبدأ الشورى الذي دعا إليه.

ي- المُلْك في الدنيا قد يكون للمؤمن وغيره، وأما الآخرة فهي لأهل الإيمان.

أأ- مرتبة الرسالة أعلى من النبوة، ومرتبة النبوة أعلى من الإمامة.

بب- ما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم كان بقدر مكتوب عليهم؛ مما يبدد فكرة الوصاية.

تت- الخلفاء جميعاً على صلة قرابة بالرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، فهم غرر الدهر وأعيان البشر.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثث- يجب أن نستفيد من دروس الماضي ما نطور به أنفسنا، أي نستفيد بشكل إيجابي وحضاري، ولسنا مسئولين عن أعمال السابقين، وما حصل بينهم من فتن، فتصفية الحساب مسئولية رب الأرباب، قال تعالى: (اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) (سورة الحج: 47).

جج- واجب المسلمين اليوم أن يتعايشوا فيما بينهم بروح التسامح، وأن يعمروا أوطانهم انسجاماً مع رسالة الإنسان في الاستخلاف في الأرض، وأن يبشروا بدينهم بطريقة حضارية راقية، بعيدة عن كل مايسيء للمظهر الحضاري الجميل لهذا الدين.

حح- المسلم ينبغي له أن يستغفر للمؤمنين السابقين، ويترضى عنهم، فهذه رسالته الحقيقية التي تنسجم مع رسالة حملة العرش الذين يستغفرون للمؤمنين.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثالثاً: التوصيات

من خلال هذا البحث نوصي بالآتي:

3- يفضل غلق النقاش نهائياً حول مسألة الفتن بين الصحابة، وما شجر بينهم، وما قد يتبع النقاش من تجريح السلف الكرام، عملاً بالمنهج الرباني: (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (سورة البقرة: 312).

2- وإذا لم يكن من الحوار بد، فليكن الحوار عقلانياً منهجياً هادئاً؛ ويكون داخل الفرق والمجتمعات الإسلامية، بغرض تجسير الهوة فيما بينها، لا زيادة التباعد والتنافر!.

1- ينبغي نبذ التعصب والتطرف الفكري، وإشاعة جو من التسامح المتبادل الذي يضفي الوحدة الاجتماعية على الأمة.

2- لا بد لكل صاحب مبدأ أن يكون موضوعياً، وأن يفترض حسن الظن بالآخر، عملاً بقول الإمام الشافعي رحمه الله: "رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب".

3- لا نستطيع أن نثق بكل شيء ورد في المصادر التاريخية!، لأنه دخل في بعض رواياتها الانتحال والتزيد، فلا بد من التمحيص والتدقيق وإعمال العقل، والنظر إلى مقاصد الشريعة، وإحسان الظن بالصحابة جميعاً قبل الحكم التاريخي.

4- يجب أن لا يشغلنا التنقيب في التاريخ عن بناء المستقبل لأمتنا، فمن ينظر للخلف دائما لا يستطيع أن يسير إلى الأمام!. لذا ينبغي أن نفكر في مشروع حضاري ينتشل هذه الأمة من ردهة الجهل والتخلف، ويعيد لها مجدها بين الأمم، إذ لا يعقل أن نعيش في التاريخ دوماً، وننسى الواقع بما فيه من جراحات وآلام، والمستقبل وما يتهددنا فيه من أخطار تحيط بنا من كل جانب!.

5- الأمم المتحضرة اليوم هي خليط من أديان ومذاهب شتى، ولو أنها تعصبت للجزء كـــ: المذهب، والقبيلة، والعشيرة، على حساب الكل وهو: الوطن والأمة؛ لتخلفت، وصار حالها لا يختلف عن حالنا، فلا بد من تعميق الانتماء للوطن المسلم والأمة المسلمة، حتى نحد من التعصب للمذاهب والأحزاب، لأن التعصب مما يوهن الأمة ويضعفها.

6- من حكمة الله تعالى أن تكون هنالك فسيفساء بشرية في كل الاتجاهات الدينية والاجتماعية والأخلاقية، قال تعالى: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مُخْتَلِفِينَ، إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) (سورة هود: 336-337).

7- القاعدة الذهبية في التعاون بين كافة المسلمين هي ما ذكره من قبل المفكر محمد رشيد رضا، وهو أن نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه.

30- كل من يعيش معنا في الوطن من غير المسلمين هو مواطن مثلنا، وشريك لنا، فلا ينبغي أن يشعر بالغربة والانتباذ لأنه غير مسلم، وينبغي توفير الحياة الكريمة له كأي فرد في المجتمع.

33- ندعو إلى إقامة مرجعية فكرية موحدة للمسلمين، تخطط للأهداف الكبرى المتفق عليها، كمقاومة الاستعمار، وتعزيز الإيمان بالله، ونبذ الفسق والمجون صيانة للمجتمعات الإسلامية من الغزو الفكري والعولمة الكاسحة!.

32- السلوك الحضاري مع الآخر هو عنوان رفعة الأمة ومجدها، وقد كان النبي محمد ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ عظيماً في تسامحه مع أعدائه تماماً كتسامحه مع أتباعه، ولذلك أثنى عليه الله عز وجل بقوله: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (سورة القلم: 2). وقديماً قال أبو العلاء مشيداً بإنجاز المصطفى في التجربة الإسلامية العالمية الأولى:[130]

دعاكمْ إلى خيرِ الأمورِ محمـــــــــــــــــــــــــدٌ
وليس العوالي في القنا كالســـــــــــــــــوافلِ
حداكمْ على تعظيمِ منْ خلقَ الضحى
وشُهبَ الدجى من طالعـــــــــــــــاتٍ وآفلِ
وألزمكمْ مـــــــــــــــــــــا ليسَ يُعجزُ حمـــــلهُ
أخـــــا الضعفِ من فرضٍ له ونوافلِ
وحثَّ على تطهيرِ جســـــــــــــمٍ وملبسٍ
وعاقبَ في قـــــــــــــذفِ النساءِ الفوافلِ
وحرمَ خمـــــــــــــــراً خلتُ ألبابَ شرْبها
من الطيشِ ألبابَ النعامِ الجـــــوافلِ

[130] – اللزوميات، (225/2).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يجـــرون ثوبَ المُلك جـــــــــرَّ أوانسٍ
لدى البدو أذيـــــال الغواني الرَّوافلِ
فصلى عليهِ اللهُ ما ذرَّ شـــــــــــــــارقٌ
وما فتَّ مســـــــــكاً ذكرهُ في المحافلِ

* * *

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المصادر والمراجع

3. البداية والنهاية، لابن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم مع آخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الخامسة، 3207هـ/ 3767م.
2. بردة المديح المباركة، للبوصيري، مكتبة محمد المهايني، دمشق.
1. تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، الطبعة السادسة عشرة
2. تاريخ الخلفاء، للسيوطي، دار الفكر، بيروت
3. تفسير الجلالين، مؤسسة الريان، بيروت، الطبعة الرابعة، 3226هـ/ 2005م.
4. جامع الأصول في أحاديث الرسول، لابن الأثير، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، دار الفكر، بيروت، 3220هـ/ 2000م.
5. الجامع الصغير، للسيوطي، نشر دار الفكر.
6. جواهر الأدب، للهاشمي، دار الكتب العربية، بيروت، الطبعة الثلاثون.
7. ديوان أبي فراس الحمداني، شرحه د. علي بو ملحم، دار الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، 3773م.
30. ديوان الشافعي، صنعة د. أكرم قنبس، هيئة المعرفة والتنمية البشرية، دبي، الطبعة الأولى، 3210هـ/ 2007م.
33. ديوان شوقي، توثيق وتبويب وشرح وتعقيب أحمد الحوفي، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة.
32. الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية، قدم له طه عبد الرءوف سعد، دار الفكر، بيروت، 3207هـ/ 3767م.
31. السيرة النبوية لابن هشام، قدم لها طه عبد الرءوف سعد، دار الفكر، بيروت، 3207هـ/ 3767م.
32. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، المسمى بالكاشف عن حقائق السنن، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة الباز، مكة المكرمة، الطبعة الثانية، 3223هـ/ 2002م.
33. فيض القدير شرح الجامع الصغير، للسيوطي، نشر دار الفكر.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

34. القاموس المحيط، للفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 3205هـ/ 3765م.
35. العقيدة والسياسة، لؤي صافي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، أمريكا، الطبعة الأولى، 3234هـ/ 3774م.
36. الكشاف، للزمخشري، تصحيح مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت، 3204هـ/ 3764م.
37. لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، مؤسسة الريان، بيروت، الطبعة الرابعة، 3226هـ/ 2005م.
20. اللزوميات، للمعري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 3204هـ/ 3764م.
23. مختارات البارودي، مشروع المكتبة الجامعة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 3202هـ/3762م.
22. مختصر تفسير ابن كثير، للصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، الطبعة السابعة، 3202هـ/ 3763م.
21. مختصر تفسير البغوي، للدكتور عبد الله الزيد، دار السلام، الرياض.
22. مشكاة المصابيح للتبريزي، تحقيق الألباني، المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الثالثة، 3203هـ/3763م.
23. منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الطبعة الثانية، 3233هـ/ 3773م.
24. المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.

****

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	2
الفصل الأول: المدخل إلى الإيمان والسعادة الأبدية	4
المبحث الأول: مجموعة آيات تتحدث عن صفات المؤمنين التي تؤهلهم لدخول الجنة	5
المبحث الثاني: مجموعة آيات تتحدث عن أن الجزاء من جنس العمل	13
الفصل الثاني: فضائل الجيل الأول من آل البيت والصحابة رضي الله عنهم	22
المبحث الأول: مجموعة آيات تتحدث عن آل البيت رضي الله عنهم	22
المبحث الثاني: مجموعة آيات تتحدث عن الصحابة إجمالاً رضي الله عنهم	31
المبحث الثالث: مجموعة آيات تتحدث عن مواقف بعض المؤمنين من الصحابة رضي الله عنهم	45
الفصل الثالث: ملابسات الانطلاقة الإسلامية العالمية الأولى	52
المبحث الأول: مجموعة آيات تتحدث عن قريش ومكة	52
المبحث الثاني: مجموعة آيات تتحدث عن أهل المدينة	60
المبحث الثالث: مجموعة آيات تتحدث عن أهل الكتاب	66
المبحث الرابع: مجموعة آيات تتحدث عن انتصار الإسلام والتمكين له في الأرض	72
الفصل الرابع: تأملات في نظام الحكم الإسلامي والشورى والوصاية	74
المبحث الأول: مجموعة آيات تتحدث عن نظام الحكم والسياسة الشرعية	76
المبحث الثاني: هل أوصى الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ بالخلافة لأحد من بعده؟.	336
الخاتمة	315
المصادر والمراجع	332

تقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال!